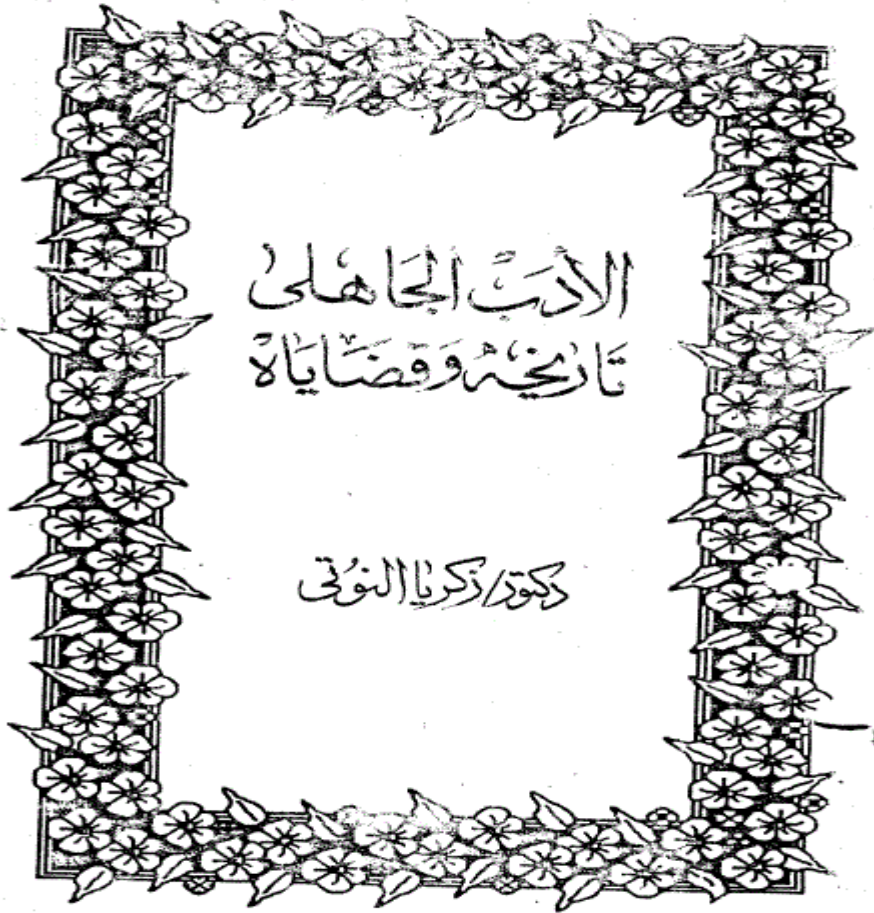




الأدب الجاهلي
تاريخه وقصائده

دكتور / ذكرى النوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . . أما بعد
فهذه دراسات في الأدب الجاهلي ، حاولت فيها للقاء الضوء على
أهم ظواهره ، وأبرز قضاياها . وقد جاءت في بابين : الباب الأول : عن
الشعر .
وقد بدأت بالحديث عن معنى كلمة " أدب " ، و " جاهلية " ، ثم
تحدثت عن حياة العرب في جاهليتهم . وعرجت على أيامهم وأثرها في
الأدب . وكان ذلك في فصل تمهيدى .

أما الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن مكانة الشعر الجاهلي عند
الجاهليين ، وكيف وصل إلينا ، فووقت طويلا عند الرواية والتدوين
ثم عرضت لأهم مصادر الشعر الجاهلي وأولها المعلقات ، عرضت لها
عرضا موجزا ، وأتبعتها الحديث عن المنضيات فالأصمعيات . . . إلخ

وفي الفصل الثاني عرضت لقضية الانتحال عند القدماء والمحدثين
فذكرت رأى ابن سلام ، ثم آراء المستشرقين ، فالعرب المحدثين ، وتوقفت
طويلا عند رأى طه حسين ، فذكرت رأيه ورددت عليه .

وفي الفصل الثالث : عرضت لأهم موضوعات الشعر الجاهلي وذكرت
أهم خصائصه .

وخصصت الفصل الرابع للتراجم فاحتوت شاعرا من مدرسة المعلقات
" عنترة " ، ومن مدرسة الصماليك " تأبط شرا " ، ومن الشعاع

الخنساء .

أما الباب الثاني : فكان خاصا بالنثر الجاهلي ، تحدثت عن أنواعه من خطابة ، حكم وأمثال ، وصايا ، مفاخرات و مناقرات ، سجع الكهان ثم استخلصنا — من خلال النماذج — خصائص هذا النثر الجاهلي

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في الاختيار والدراسة والعرض ، وأن

تفي هذه الدراسات بالغرض منها .

((وما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))

د / زكريا النوتسي

القاهرة في ١٥ ديسمبر ١٩٩٠

الباب الأول الجاهليون والشعر

الفصل الأول :
حياة العرب في الجاهلية



تاريخ الأدب الجاهلي

كلمة أدب :

قال ابن منظور (١) : الأَدَبُ : أصله الدعاء ، ومنه قيل للصنم يدعى إليه الناس : مَدْعَاة ومَدْبُوتة . . . وفي هذا المعنى استعمله الجاهليون .

قال طرفة بن العبد : (٢)

نحن في المَشْتَاة نَدْعُو الجَنَلَى لا تَرَى الأَدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ
وذهب أكثر مؤرخي الأدب إلى أن كلمة " أدب " لم ترد في العصر الجاهلي ، والحق غير ذلك . فقد وردت في كلام " علقمة بن علاثة " أمام " كسرى " في قوله (٣) :

" فليس من حضرك منا بأفضل ممن عَزَبَ عنك ، بل لو قُتِلَ كل رجل منهم ، وعلقت منهم ما علمنا لوجدت له في آياته دُنْيَا أُنْدَادًا وأكفَاء ، كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف "

ويعنى بها هنا : الخلق الكريم ، والخصال الحميدة .

وفي عصر صدر الإسلام استعملت الكلمة للدلالة على هذا المعنى في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " أَدَبُنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيَتِي " .

(١) لسان العرب / مادة " أدب " .

(٢) المَشْتَاة : الشتاء ، جَفَلَى : عامة ، يَنْتَقِرُ : أي يَخُصُّ أناساً بالدعوة .

(٣) المعقد الفريد لابن عبد ربه - تحقيق د / مفيد قميحة ٢٨٤ / ١

إلا أننا عثرنا على قول "سبده الله بن عباس" أورد ابن عبد ربه في العقد
يقول فيه : (١) "كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسمعك جهل" .
وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثال .

ولو صح إسناد هذا القول إلى ابن عباس لكان إرهاباً باستعمال الكلمة
فيما استعملت فيه في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وبذلك يعد ابن
عباس أول من استعملها في هذا المعنى .

وفي العصر الأموي شاع استعمالها وتعدد معناها . . فتارة تدل على حسن
الخلق ، وأخرى تدل على المعنى التعليلي القائم على الشعر والنثر
والأنساب والأيام والأخبار . . إلخ فمن الأولى قول كعب بن سعد الغنوي :
حببت إلى الزوار غشيان بيته جميل المحيا شب وهو أدب
وقال آخر (٢) :

ولن على ما كان من غنجهيتي وكوتة أعرابيتي لأديب
ومن الأخرى قول معاوية : اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فإن فيه
مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم .

وقد شاع استعمال الكلمة في كل ما من شأنه التثقيف والتهديب من أنواع
العلم ما عدا العلوم الدينية ، وكان الخلفاء الأمويون يختارون معلمين
لأبنائهم ، فكانوا يعلمونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم

(١) نفسه ٢٦١/٢

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١٦٨/١ تحقيق هارون .

وأيامهم ، وسميت تلك الطائفة بـ " المؤدبين " .

وفي القرنين الثاني والثالث نشأت علوم اللغة العربية بأنواعها ،
ونمت واستقلت باسمائها ، فكان النحو والصرف واللغة ، وأصبح الأدب
يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يفصل به ويفسره
من الشرح والتقد والأخبار والأنساب وعلوم العربية ، وألفت في الأدب بهذا
المعنى كتب معروفة مشهورة مثل : الكامل للمبرد (ت ٢٨٥هـ) البيان
والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، طبقات الشعراء لابن سلام (ت ٣١٠هـ)
الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ تقريباً) وغيرها . . .
وعنى العرب بالتقد حتى أخذ في الاستقلال والانفصال عن الأدب
وصار علماً قائماً بذاته ، وأصبح الأدب مقصوراً على الجيد من الكلام شعراً
ونثراً ، وذلك في أواخر القرن الرابع .

ومنذ أواسط القرن الماضي أخذت الكلمة تدل على معنيين :
- معنى عام : وهو كل نتاج عقلي مكتوب في الكتب أو مصور في الكلام .
- معنى خاص : وهو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس المتلقي
لذة فنية سواء كان شعراً أو نثراً .
وعلى ذلك فالكتاب في النحو أو الهندسة أو في أي فرع من تلك العلوم
أدب بالمعنى العام لأنه نتاج العقل الإنساني وتصوير له ، سواء أحدث
متعة في نفس متلقيه أم لم يحدث .
والقصيدة الجميلة ، والخطبة المؤثرة ، والرواية الممتعة ، كل هذا أدب
بالمعنى الخاص لأنه يحدث لذة في نفس المتلقي . (١)

(١) راجع / التوجيه الأدبي ، طه حسين وآخرون ١ - ٣ تاريخ آداب
العرب للرافعي ١ / ٣٩ ، العصر الجاهلي لشوقي ضيف .

أما كلمة "جاهلية" :

فهي ليست مشتقة من الجاهل الذي هو ضد العلم ، وإنما هي من الجاهل بمعنى الثورة والغضب . فهي تقابل كلمة " الإسلام " التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل .

وقد جاءت الكلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى فمضى سورة البقرة (١) "..... قَالُوا اتَّخَذْنَا عُورًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " .

وفي الحديث الشريف : " أَعْيَرْتَهُ بِأَمِهِ !! إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ " قال ابن منظور : هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجاهل بالله سبحانه ، ورسوله ، وشرايع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك . (٢)

أما في الشعر فقد قال عمرو بن كلثوم : (٣)

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ
بمعنى السفه والطيش والغضب والإسراف في القتل .

* المُصَوِّرُ الْأَدَبِيَّةُ :

معظم مؤرخي الأدب العربي يقسمون عصر الأدب العربي إلى خمسة عصور أساسية هي :

١ - العصر الجاهلي : وهو ما كان قبل بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويحدد بعضهم بـ ١١٠ سنة وخمسين عاماً أو أكثر قليلاً . (٤)

(١) الآية ٦٧ من سورة البقرة (٢) اللسان : مادة جهل .

(٣) البيت من معلقته .

(٤) الحيوان للجاحظ ٢٤/١ ط الحلبي .

٢ - العصر الإسلامي : وينقسم - عند بعض النقاد والمؤرخين -

إلى قسمين :

- أ - عصر صدر الإسلام : من بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين سنة ٤١ هـ .
- ب - العصر الأموي : وهو ما تلا عصر الخلفاء الراشدين سنة ٤١ هـ إلى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ .

٣ - العصر العباسي :

- أ - العباسي الأول : من قيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ - ٣٣٤ هـ
- ب - العباسي الثاني : من ٣٣٤ هـ إلى سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ .

٤ - العصر التركي : من ٦٥٦ هـ إلى حكم محمد علي لمصر ١٢٣٠ هـ

أو إلى نزول الفرنسيين بمصر ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م وينقسم إلى قسمين :

- أ - عصر المماليك
 - ب - عصر العثمانيين
- ٥ - العصر الحديث : من ١٢١٧ هـ / ١٧٩٨ م إلى يومنا هذا .

- ٨ -
العوامل المؤثرة في الأدب

الأدب هو مرآة الحياة ، يتأثر بما تتأثر به .. لأنه صورتها وسجلها
ومن أهم ما يؤثر في الأدب :

١ - الاستعداد الفطري " الموهبة " :

وليس كل الناس لديهم هذا الاستعداد ، وإنما هم متفاوتون فيه .
فبعض الأمم رزقت حظاً كبيراً منه ، وبعضهم لم يتَّح له إلا القليل ، وفي
داخل الأمة الواحدة تجد هذا التفاوت أيضاً .
وقد رزق العرب قدراً عظيماً من هذا الاستعداد ، فكان حسهم دقيقاً ،
وطبعهم صافياً فتجاوبوا مع الطبيعة ، وما طرأ عليها من أحداث ، ولهذا
كانوا أمة شاعرة .

٢ - الحضارة ..

لأنها تدعو إلى الاستقرار والنظام ، فتؤثر في الحياة المادية
والمعنوية تأثيراً مباشراً .. وأنت تجد شعر الحضرة غير شعر البدو
في الألفاظ ، والمعاني ، والموضوعات .. إلخ
بل إن الشاعر الواحد يختلف شعره في بادية عنه إذا تحضر .. فالحضري
ألفاظه رقيقة عذبة لينة ، والبدوي خشن جاف غليظ ، ينحت من صخر ،
ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " مَنْ بَدَا جَفَا " .
وقالوا : " إن أهل البادية أصفى ذهنًا من سكان المدن ، وأهل البلاد
الباردة أسرع حركة ونشاطًا من أهل البلاد الحارة ، وفي البلد الواحد
يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطًا وصفاءً ذهنًا " (١)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية / جورجى زيدان ١/ ٢٣

يقول القاضي الجرجاني (١) :

"إن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق .. وترى الجاني الجلف كثرة الألفاظ ، معقد الكلام ، وثر الخطاب .. ومن شأن البداوة أن تحدث ذلك .. ثم يقول عن أثر الحضارة :

" فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأديب والتطرف اختار الناس من الكلام أليته وأسهله ، وعمدوا إلى تل شي ، ذي أسماء كسيرة اختاروا أحسنها سمعيا ، وألفها من القلب موقعا .. "

٣ - العلم والثقافة :

فانتشار العلم واتساع دائرة الثقافة مما يؤثر في الأدب ، إذ تتسع مادته ، وتتنوع فنونه ، وتجدد فنون ، وتندثر أخرى .. فانتشار العلم والثقافة في العصر العباسي - مثلا - كان له أثر عظيم في الشعر والنثر معا .. وجددت في الشعر أغراض ، وموسيقى .. إلخ .

٤ - الدين :

وذلك بتأثيره في المواطن ، وتربيته للنفس ، وسموه بالإنسان إلى مرتبة عالية من الأخلاق والمعاملات .. ومن هنا تجد فرقا هائلا بين نتاج الأديب المتدين ونتاج غير المتدين .

٥ - السياسة :

ولها تأثير ضخم في مسار الأدب .. فنظام الحكم الطاغى المستبد

(١) الوساطة للقاضي الجرجاني ص ١٨

يذهب بالحريات ، ويظهر الأدب الذى يخلق الحكام وينافقهم ويمدحهم دون استحقاق وتعتمد صداقته .

أما النظام الديمقراطي فإنه يتيح للأدباء أن يعبروا عن مشاعرهم بصدق ، ويشهدوا دون خوف ، ويزدهر الشعر الحماسى والوطنى . . . إلخ . وهناك عوامل أخرى كالإتصال بالثقافات المختلفة ، واهتمام الحكام بالأدب والأدباء ، وعقد المجالس والمنتديات الأدبية والنقدية . . . كل هذا وغيره يؤثر تأثيرا عظيما فى الأدب قوة وضعفاً ، وغزارة وقلة . . . إلخ (١)

تاريخ الأدب والتاريخ العام

بدا لنا فيما مضى أن تقسيمات المؤرخين للعصور الأدبية تبعاً لوقوع الأحداث الكبرى المؤثرة فى حياة الأمة ، كقيام دولة على أنقاض أخرى . . .

وذلك لأن للسياسة تأثيرها فى الأدب . . . إذ أن هناك علاقة بين تاريخ الأدب والتاريخ السياسى . . . فكما أن السياسة تؤثر فى الأدب ، فكذلك الأدب يؤثر فى السياسة . وعلى المؤرخ أن يكون مُلمّاً بالحياة الأدبية للعصر الذى يؤرخ له سياسياً ، ومؤرخ الأدب ينبغي عليه أن يتعرف أحوال العصر الذى يؤرخ له أدبياً .

ولا بد لمن يدرس نتائج أدب من الأدباء أن يتعرف على عصره حتى يقف على المؤثرات فى أدبه . وكذلك حين يتصدى مؤرخ الأدب للتأريخ فلا بد له من التعرف على بيئة ذلك الأدب وظروف مجتمعه وحياته . . . إلخ . فكل من التاريخ الأدب والتاريخ العام مرتبطان ، يؤثر أحدهما فى الآخر ويتأثر به .

(١) راجع لذلك / التوجيه الأدبى ، فصول النقد الأدبى / أحمد الشايب

الحياة العربية الجاهلية

شبه جزيرة العرب واسعة الأرجاء ، ممتدة الأنحاء ، ومن هنا تفاوت مناخها بدرجة كبيرة .

ومعظم شبه الجزيرة صحراء مقفرة ، على الرغم من إحاطتها بالمياه من جوانب ثلاثة ، وترتفع وسطها هضبة نجد شاطرة الجزيرة شطريين ، فإلى الغرب من الجزيرة وبموازاة البحر الأحمر تمتد سلسلة جبال الحجاز التي سميت بذلك لأنها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق . ونتيجة لامتداد سلسلة جبال الحجاز بمحاذاة الساحل الغربي فقد أضحى وسط الجزيرة صحراء قاحلا يندر سقوط المطر فوقه .

وتهب على الجزيرة رياح تتسم معظمها بالقسوة ، ولا سيما في فصل الشتاء ، الذي يترك الأرض مجدبة ، ويعدم الناس الماء والكلاً ، ويهلك الزرع والضرع ، ومن هنا كان فخرهم بالجود والكرم في الشتاء خصوصاً .

قال شاعرهم :

تَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى . . . لَا تَرَى الْآدِيبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وقالت الخنساء :

وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدُنَا . . . وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ

وهناك ريح واحدة أحبها العرب ، وتغنوا بها ، وهي ريح الصبا ، وتهب على المناطق التي تنعم بالمناخ العليل مثل نجد ، التي تغردت بسنين سائر أقطار الجزيرة بجوها فيها سقط الغيث ، فطيب الأديم ، وأنبئت الزرع ، وأشبع الضرع ، وأينع الثمر ، وفاح العطر . فَخَرَى بِسَاكِنِيهَا

أن يستمتعوا بها ، وجد يرشعرائها أن يتغنوا فيها فيقول أحد هم : (١)
 أقول لصاحبي والعجمي تهوى . . . بنا بين المنيفة فالضمـ
 تفتح من شميم عرار تجـ . . . فما بعد العيشة من عـرار
 ألا يا حيداً نفحات نجد . . . ورنا روضه غب القطـ
 ولما كان أغلب شبه الجزيرة قاحلاً ، كانت المياه عزيزة لديهم
 إلى حد كبير ، فيها تكون الحياة يقال تعالى " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
 شَيْءٍ حَيٍّ " .

والقبيلة التي تزرق قدرا من الماء تنعم بشيء من الاستقرار ، وقد ظفرت
 بعض المناطق بهذا القدر مثل بلاد اليمن التي تهب عليها الرياح
 الموسمية الممطرة ، وغيرها .

أما الصحارى التي تنعم بالجفاف فإنها لم تحرم - أحيانا - من
 المطر الذي يتبعه الرعاة حيث ينبت الكلأ الذي تطعمه مواشيهم .

وقد عرف العرب الزراعة في الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل
 يشرب وخيبر وفي الطائف ووادي القرى (٢) .

وبعض العرب كانوا يحتقرون الزراعة ويزدرونها ، معتقدين أنها تجد من
 انطلاقهم وحريتهم ، ومن ثم كان هوان شأن المزارعين ومربي الماشية
 البطيئة في نظر هؤلاء . يقول العباس بن مرداس السلي - في معرض
 فخره بقومه - : (٣)

قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا . . . دين الرسول وأمر الناس مشجعـ

(١) الوساطة للقاضي الجرجاني ص ٣٧

(٢) انظر / تاريخ الأدب العربي الجاهلي ص ٧٦ د / شوقي ضيف .

(٣) ديوان العباس بن مرداس السلي - القصيدة ١٣ و ١٨

لَا يَغْرِسُونَ قَسِيلَ النَّخْلِ وَمُسْطَهْمٌ ۝ وَلَا تَخَاوِرُ فِي مَشْتَاهُمْ الْبَقَرُ (١)

ويقول :

فَأَمَّا النَّخِيلُ فَلَيْسَتْ لَنَا ۝ نَخِيلٌ نَسْقَى وَلَا تُؤَيِّسُ (٢)

وبعد الزراعة يأتي الرعي من حيث الأهمية ، وعلى من لم يهتو الزراعة أن يتجه إلى الرعي ويختار له الحيوان الذي يتناسب وظروفهم ۝ وقد كانت الإبل في المرتبة الأولى حيث تحقق فيها هذا التناسب ، بالإضافة إلى تنوع المنافع التي تتأتى منها ۝ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال سبحانه " وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعَ وَبَيْنَهَا تَأْكُلُونَ " وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْإِنْفِيسِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسَ ۝

ومن أهم الحيوان لديهم : الخيل ، تلك التي كانت ركنا أساسيا أوليا في حياة البدوي إذ كان يعتمد عليها في الغزو الذي أصبح وسيلة من وسائل الحياة لدى العربي ۝ وذلك لأن العربي إذا ضنّت عليه الطبيعة بما يلزمه ليقيم أود ۝ كان عليه أن يغير على قبيلة أخرى ليسلب وينهب ۝ فلا يجد سوى فرسه يسعفه في تحقيق ما يريد ۝

ومن هنا استأثرت الخيل بحب العرب ۝ فصانوها ۝ وأكرموها ۝ حتى إن العربي يبيت طاويا ويشبع فرسه ۝ ويؤثره على نفسه وأهله وذويه ۝ فيسقيه المحض ويشرب الماء القراح ۝ ويُعَيِّر بعضهم بعضا بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها ۝ (٣)

(١) والفسيل : صغار النخل ۝ تخاور : من الخوار وهو صوت البقر ۝

(٢) تأيسر النخل : تلقيحه وإصلاحه ۝

(٣) الخيل لأبي عبيدة - ط الهند ص ٢

ويعمل الجاحظ هذا الإيثار بقوله : (١)

" لقد وجدوا فيها من خصال الشرف والمنافع ، والغنا ، في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، وفي الزينة واللبا ، وفي العدة والعتاد ، ما ليس في غيرها من الحيوان "

لأن عناية العرب بالخيل تفوق الوصف حتى إن الفارس العربي لم يكن يطمع إلا في أمرين : قيادة الجيش ، وامتلاك فرس يحسن الكر والفر ، ويجمع صفات الجياد .

يقول خفاف بن ثديّة السلمي : (٢)

إِنَّ أَمْسَ لَا أَمْلَكَ شَيْئًا فَقَدْ . . . أَمْلَكَ أَمْرَ الْمُنَسَّرِ الْحَسَّارِ
بِالضَّايِعِ الضَّايِعُ تَقْرِيْبٌ . . . إِذْ وَتَّيْتُ الْخَيْلُ وَذُو الشَّاهِدِ
ويكفي دليلًا على شدة اهتمامهم بها أن حفظوا أنسابها بعد أن سموها كل فرس ، فوجدنا كتبًا عديدة في أنساب الخيل لأبي عبيدة وابن الكلبي وابن الأعرابي وغيرهم .

وأما التجارة فقد عمل بها اليهود وبعض قريش ، وفي المدينة كان اليهود يعطون التجارة أهمية خاصة ، حتى اقتضت تجارة البلح والشعير والقمح عليهم . ومن هنا نشأت علاقات بينهم وبين قريش ، وكانت هناك أسواق عديدة من أشهرها عكاظ ، المجنة ، ذو المجاز وغيرها .

(١) الحيوان ١٣ / ١٢٠ تحقيق هارون .

(٢) شعر خفاف ص ٤٤ . المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . الحارث : الجاد القاصد . الضايغ : الشديد الجري . الضايست : القوى . التقريب : ضرب من العدو . ذو الشاهد : الذي له من جريته ما يشهد على سبقه وجودته .

وتكاد الصناعة تقتصر على اليهود ، وهى صناعات قليلة كصياغة الذهب، وكان لهم فى المدينة حق خاص للصاغة ، جاء ذكره فى إجلال يهود بنى قينقاع فيما بعد .

حياتهم الاجتماعية

فرضت الظروف الطبيعية والعوامل البيئية على العرب نظام حياتهم وطريق عيشهم .

وكان من الطبيعى فى ظل هذه الظروف ألا يعرفوا الأمة بمعناها المعروف ، وإنما كانت القبيلة هى مجتمع الإنسان العربى آنذاك ، وتنظم فى تكوينها الاجتماعى فروعاً من البطون والأفخاذ والعشائر . هذا التجمع فى ظل القبيلة أمر مفروض ، فرضته ظروف الحاجة إلى معين وسند وظهير، ومقأجدد الناس بذلك سوى أولى القرى ؟ وتتألف القبيلة العربية من ثلاث طبقات هى :

أ (الطبقة الأولى :

الآحرار الصرحاء ، وهم أبناء القبيلة الأصلاء ، الذين ينتمون إلى أب واحد ، وهؤلاء هم أشرف القوم وسادتهم ، إذ يختار من بينهم شيخ القبيلة .

ب (الطبقة الثانية :

الموالى ، وهم المعتقون من العبيد أو من خلعتهم قبائلهم فلجأوا إلى هذه القبيلة ليعيشوا فى كنفها وحمايتها ، ومن هؤلاء الصعاليك أمثال : الشنفرى ، تأبط شرا ، السليك بن السلكة وغيرهم .

كان التخاصم بين القبائل في سبيل الشرف والرياسة أو المال والعيش
لذلك كانت حياة القبائل الجاهلية حمراء ، مصبغة بالدم ، لا تكاد نرى
سلما دائما وهدوءا شاملا ، ولا يكاد يمر يوم دون غارة شنعاء أو قتال
رهيب حتى عرفت عنهم الأيام (١)

ولما كانت كل قبيلة تنتظر غفلة لقبيلة أخرى حتى تغير عليها ، أو
تتوقع اعتداء على حرمانها ، فيجب عليها دفع العدو وإن كان عليها
أن تتقوى بنفسها أو يغيرها ، ومن هنا لجأت القبيلة الضعيفة إلى أخرى
تتقوى بها فكانت الأحلاف بين القبائل . وكانت لهم مظاهر شتى في عقد
هذه الأحلاف ، ومن أشهر أحلافهم :
" حلف الفضول " الذي حضره الرسول قبل أن يبعث ، و " حلف
المطيبين " وغيرهما .

لقد كان الغزو وسيلة من وسائل العيش لدى العرب الجاهلي ، حتى
بلغ بهم الأمر أن يغيروا على أقربائهم إذ لم يجدوا سواهم ، قال شاعرهم :
وأحيانا على بكر أخيننا إذا ما لم نجد إلا أخاننا
وكان العرب لم يكن له شغل سوى الحرب ، فهو إما مغير ، وإما مغسار
عليه ، طالب أو مطلوب ، وائر أو موتر ، يقول دريد بن الصمة :
يغار علينا وأترين فيشتقى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
قسما بذاك الدهر شطرين بيننا فإ ينقض إلا ونحن على شطر

(١) تاريخ الشعر السياسي / أحمد الشايب ص ٢٧

من هنا كثرت " الأيام " ، حتى إنهم ذكروا أن " أبا الفرج الأصبهاني " قد استقصى تلك الأيام فوجمل عددها سبعمائة ألف يوم .
وهناك كتب كثيرة في أيام العرب منها : النقائص لأبي عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة ، باب اللكم في المقعد الفريد ، وأيام متفرقة في الأغاني ، وكذا في جميع الأمثال للميداني ، وفي نهاية الأرب للتويزي ، وفي الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ، وغيرها .

* أيام العرب في الجاهلية :

الأيام : جمع يوم وقد أطلقها العرب على وقائعهم وحروبهم * ولهذا التسمية أسباب منها : (١)

(أ) أن قولهم " أيام العرب " أصله " وقائع أيام العرب " ثم حذفت كلمة " وقائع " للإيجاز .

(ب) أن كلمة يوم يعنى بها وقت الشدة والاختبار * قال ابن منظور وربما عبر العرب عن الشدة باليوم فقالوا : يَوْمٌ أَيْوَمٌ .

(ج) أنهم سمو الوقائع أياما لأنها كانت غارات طارئة تقع الغارة منها في يوم وتنتهى بانتهاؤه * هنا على الرغم من امتداد بعض وقائعهم إلى عشرات السنين * لكنها بدت بيوم .

(د) أن اليوم يطلق ويراد به النهار دون الليل * والعرب يقاتلون وقت النهار فإذا دخل الليل كفوا عن القتال * وفي ذكر الغارات ترد كلمة " الصباح " كثيرا مثل قول هند بن خالد بن صخر بن الشريد " يَصِفُ غَارَةَ لَهُمْ : (٢)

جَلَبْنَا مِنْ جَنْوِبِ الْفَرْدِ جُسْرًا . . . كَطِيرِ الْمَاءِ غَلَسَ لِلْـلُّورُودِ
أى انطلقنا بخيل قصيرة الشعر * يشبه الطير حين يقوم ليرد الماء مع انفجار الصبح .

(١) راجع : اللسان * شعر الحرب / د / على الجندى ص ١٩

(٢) الفرد : اسم جبل أو مكان * جُرْدًا : أى خيلا قصيرة الشعر * وقيل الْجُرْدُ هو الذى يسبق الخيل وينجرد عنها لسرعته * غَلَسَ للورود : أى ورد الماء وقت انفجار الصبح .

وقال العباس بن مرداس : (١)
صَبَحْنَاكُمْ الْمَوْجُ الْعَنَاجِيحُ بِالشَّحَى تَمَرُّنَا مَرَّ الرِّيحِ السَّوَاهِكِ
وقال الأعشى :

وَجُنْدُ كَسْرَى غَدَاةَ الْجَنُودِ صَبَحَتْهُمْ . . .
وقد جاء في القرآن الكريم " وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ " أى خَوْفَهُمْ بما نَسَبُوا
بعاد وثمود وغيرهم . . . (٢)

وهذه الأيام منها ما كان بين العدنانيين والقحطانيين ، ومنها ما كان
بين بكر وتميم ، وبين قيس وكنانة ، وبين قيس وتميم ، وبين ربيعة فيمسها
بينهم مثل حروب بكر وتغلب . . . إلخ .

وقد يكون سبب اليوم تافها مثل تنافس على امرأة كما حدث في يوم
خَوْزَةَ الْأَوَّلِ بين بنى سليم وبنى مرة (٣) ، أو يكون الداعي هو الغش
طمعا في الأسلاب والغنائم وهو سبب اقتصادى . . . إلخ .

* أثر أيام العرب في الأدب الجاهلى :

يقول ابن سلام (٤) :

" ولَمَّا كَانَ يَكْثُرُ الشَّعْرُ بِالْحُرُوبِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ نَحْوِ حَسْرَةِ
الْأَوْسِ وَالْخَزِرَجِ ، أَوْ قَوْمٍ يَغِيرُونَ وَيَغَارُ عَلَيْهِمْ ، وَالَّذِي قَلَّلَ شَعْرَ قُرَيْشٍ

(١) ديوانه ق ٦ / ١٣١ - المَوْجُ : الخيل التى فى قوائمه اعوجج
يساعدها على شدة الجرى - العناجيج : جمع عنجوج : الراسع

من الخيل . الرياح السواهك : العواصف الشديدة الممرور .

(٢) اللسان " يوم " (٣) راجع العقد الفريد ٦ / ٢٨٨ و ٢٩

(٤) طبقات الشعراء: ٢١٧

أنه لم يكن بينهم نائبة " أى حقد وفتنة .
أى أن الحرب لها أثر بالغ في إلهاب المشاعر وتفجير العواطف لدى
الشعراء ، وقد حدث ذلك بالفعل في العصر الجاهلي إبان المعركة
وبعدها ، والشعر إبان المعركة يختلف عنه بعدها ، فالشاعر أثناء
المعركة عجل متسرع والموقف لا يستدعي الإطالة والتفاصيل ، أما بعد
المعركة فهو إما منتصر وإما منهزم ف يأخذ في عرض الحرب بتفاصيلها
ومعاركها وإسهاماته الفردية في إحراز النصر ، أو الاعتذار عن الهزيمة
وما إلى ذلك .

من هنا وجدنا " الرجز " يرتجله الشعراء أثناء المعركة لما فيه من
تناسب وظروفهم تلك .

وقد كثر شعر " الفخر والحماة " واحتل أوسع مساحة على خريطة
شعر الحرب ، فالشاعر يفخر بنفسه ويقيلته ليرهب الخصوم ، ويضعف
معنوياتهم ، فهو بمثابة الخط الأول للهجوم ، وما أشبه هذا الشعر
ودوره سلاح الشئون المعنوية في تشكيلات القوات المسلحة الآن .

والشاعر يحسن نفسه وقومه على خوض غمار الجويليل مجدداً طريقاً
بتليد ، ويذم الجبن والخور والضعف ، فهو تعبئة عامة ، وإثارة لحمية
القوم وشحنهم بهم . .

ولولا الأيام ما كان شعر الفخر والحماة بهذه الكثرة التي وصلتنا .
وقد كانت هذه الأشعار بصورة أصدق تصوير لحياة العرب من
جميع جوانبها ولم يكن شعر الحروب مقصوراً على غرض الفخر والحماة
وإنما كان منه " المدح " . هذا " صخر بن عمرو بن الشريد " يمدح غلمان

قومه الذين تصدوا لقطفان حين انتهزت فرصة خروج فرسان سليم ففى غارة لهم ، فأغاروا على ديارهم وتصدى غلمان سليم لقطفان فهزموهم

ورد وهم خائبين يقول صخر :

جَزَى اللّهُ خَيْرًا قَوْمَنَا إِذْ دَعَاهُمْ . . . يَعْدِيَّةَ الْحَيِّ الْخُلُوفِ الْمُبِصِّحِ
وَعَلْمَانًا كَانُوا أَسْوَدَ خَيْفِيَّة . . . وَحَقَّ عَلَيْنَا أَنْ يُثَابِرُوا وَيُمْدَحُوا
هُمْ نَقَرُوا أَقْرَانَهُمْ بِمَضْرَس . . . وَسَعِيرَ وَزَادُوا الْجَيْشَ حَتَّى تَزْحَزْحُوا
كَأَنَّهُمْ إِذْ يَطْرُدُونَ عَشِيَّة . . . بِقُنَّةٍ مَلْحَانِ نَعَامِهِمْ
وكان من آثار الحروب أيضا شعر " الرثاء " ، بكاء قتلى الممارك والتوجع لمصابهم. ومن خير ما يصور هذا الفن شعر " الخنساء " فى رثاء أخويها " صخر ومعاوية "

وكما أثرت الأيام فى الشعر كان لها تأثيرها فى النثر فى مجال الخطابة

والمناقرات ، والمحاورات . . . الخ .

فليس كل العرب شعراء ، وإنما كان من بينهم الخطباء الموهوبون الذين لا يقلون فى تأثيرهم فى القوم عن الشعراء ، ومن هنا كان المتحدث الرسمى باسم القبيلة أمام الملوك والرؤساء خطيبهم . حتى ذهب بعض النقاد إلى القول بأن الخطابة نافست الشعر فى العصر الجاهلى وربما فاقتته .

الفصل الثاني : الشعر الجاهلي

مكانة الشعر الجاهلي عند الجاهليين

اهتم العرب بالشعر اهتماما كبيرا ، واعتزوا به اعتزازا بالغاً
حتى إن القبائل العربية " إذا تبيغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها
وصنعت الأظعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فـسـى
الأعراس ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن
أحسابهم وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهنتون إلا بـغـلام
يولد ، أو شاعر يبيع فيهم ، أو فرس تنتج " (١)

غير أن لمولد الشاعر - من بين هذه الثلاث - احتفاء خاصا ، لأن
الشاعر كان بمثابة جهاز الإعلام في قبيلته .
وليس أدل على عظم مكانة الشعر والشاعر ، وقدرهما لدى العربي
من أن بيتاً - أو بيتين من الشعر - قد يحط من قدر قبيلة كبيرة ويهون
من شأنها ، وأن بيتاً آخر قد يرفع من شأن قبيلة ضعيفة خاملة الذكر .
وأمثلة ذلك كثيرة منها :

١ - " ألا ترى إلى بني عبد المداث الخارثيين ، كانوا يـفـخـسـرون
بطول أجسامهم وقد يم ترفهم حتى قال فيهم حسان بن ثابت :
لَا يَأْسُ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ غُلَظٍ جِشْمُ الْيَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ
فَقَالُوا لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، لَقَدْ تَرَكْتَنَا وَنَحْنُ نَسْتَحْيُ مِنْ ذِكْرِ أَجْسَامِنَا
بَعْدَ أَنْ كُنَّا نَفْخَرُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُمْ : سَأُصْلِحَ مَا أَفْسَدْتَ .
فَقَالَ فِيهِمْ :

(١) العمدة لابن رشيق ٣٧/١

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا . . . لِذِي جِشْمٍ يُعْدُّ وَذِي بِيَانٍ
كَأَنَّكَ أَهْلُهَا الْمُعْطَى لَسَانًا . . . وَجِشْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ (١)

٢ - وكان " المخلق بن حنتم بن شداد " خاملاً ، لا يذكر حتى طرقة الأعشى في فتية ، وليس عنده إلا ناقة ، فذبحها ، وشوى بعضها واشترى ببعضها الآخر شراباً قدمه للأعشى وصحبه ، فغدا الأعشى يقول من قصيدة له :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ . . . إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَقَاعٍ تُحْرِقُ
تَشْتَبِ الْمَقْرُونَيْنِ يَضْطَلِيَانِهَا . . . وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَخْلَقُ
فَأَخَذَ الْخَطَابُ يَتَهَاوَنُونَ عَلَى بَنَاتِهِ يَخْطُبُونَهَا ، وذلك لأن الأعشى رفع ذكره . (٢)

٣ - وكان بنو أنف الناقة يغضبون من لقبهم هذا ، حتى قال فيهم الحطيئة :

قَوْمَ هُمُ الْأَنْفِ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ . . . وَمِنْ يُسَوَّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبُ
فَعَادَ هَذَا الْأَسْمَ فَخَرَّ لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ . (٣)
لقد كان الشاعر في ذلك العهد " بمثابة الصحفي اليوم ، فالتس المساء رضاه وتزلف إليه الأمراء والأعيان " (٤)

(١) المعقد الفريد ١٧٦/٦ ، ١٧٧

(٢) نفسه ١٧٧/٦ ، ١٧٨

(٣) نفسه ١١٧/٦ (بايجاز)

(٤) تاريخ العرب (مطول) فيليب حتى ١٣٠/١

رواية الشعر العربي وتدوينه

وما دامت للشعر تلك المكانة حتى إذا على هؤلاء المحتفين بسـ
أن يحافظوا عليه ويحفظوه ٠٠ فكان لذلك طريقان هما الرواية والتدوين ٠
ولكن أيهما أسبق ؟ الرواية أم التدوين ؟
أكثر الباحثين على أن الرواية أسبق من التدوين ٠ لأنها أعم وأشمل
إذ أن القراءة والكتابة هما وسيلتا التدوين ٠ وهما غير شاعرتين فـ
الجاهلية. وأما الرواية فسيبيلها حافظة واعية وذاكرة لا قطة ٠ وهما أمران
قد يتوافران كثيراً حتى لغير الكاتبين والقارئين ٠

* أولاً : الرواية :

ويُقصد بالرواية : الحمل والحفظ والاستظهار ٠ والنقل بمعنى : عدم
الاستعانة بالكتابة والقراءة ٠

وهذا يعني أنه " كان لكل شاعر جاهلي كبير - على وجه التقريب -
رواية يصحبه يروى عنه أشعاره ٠ وينشرها بين الناس ٠٠٠٠ وكان هؤلاء
الرواة يعتمدون - في الغالب - على الرواية الشفوية ٠ ولا يستخدمون
الكتابة إلا نادراً ٠ وعن الرواة كانت تنتشر الدراية بالشعر في أوساط
أوسع وأشمل ٠ بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه " (١)

* رواية الشعر الجاهلي :

١ - يدهى أن يكون أكثر الناس اهتماماً بشعر الشاعر هم أهلـه
وعشيرته إذ أنهم يعدونه لسان حالهم ٠ المعبر عما في نفوسهم ٠ المذيع

(١) تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ترجمة د / عبد الحليم النجار ١ / ٦٤
٠ ٦٥ دار المعارف ٠

لأخبارهم ، المسجل لمفاخرهم ، فكانوا بمثابة السَّجِّل الأصلي لآثار شعرائهم وأدبائهم ، يحفظونها عن ظهر قلب ، ويردّدونها في كل مكان ويتغنّون بها في كل زمان

وقد يبلغ بهم عشق النص الشعري والإعجاب والولوع به درجة تلهيهم عن أعمالهم المظلمة . (١)

ولمثل هذا هجا شاعر - من قبيلة بكر - قبيلة تغلب قائلا : (٢)
أَلْهَى بَنَى تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ . . . قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ
يَرَوْنَهَا أَبَدًا مَتَى كَانَ أَوْلَاهُمْ . . . يَا لِّلرَّجَالِ لَشَعْرٌ غَيْرُ مَقْدُومٍ

٢ - وقد قام الشعراء أنفسهم بدور هام ضخم في مجال الرواية حتى جعلوا الرواية وحفظ الشعر واستظهاره مدرسة يتعلم فيها الشعراء المبتدئون فنّ الشعر على يد خبير به ، فيتعلمون قوانينه ، ويتمرسون بأساليبه وفنونه ، مبدعين حافظين ، راويين . . . (٣)

وأكثر الناس تعلقا بحفظ الآثار الشعرية هم الموهوبون الذين يفيدون ويستفيدون ، فهم محافظون على هذه الآثار من الضياع ، وهم بذللك يصقلون مواهبهم ، ومن هنا نشأت السلاسل الشعرية التي كان منها :
* سلسلة " أوس بن حجر " الذي كان زوجا لأم زهير بن أبي سلمى
فنشأ هذا راوية لأوس ، وعن زهير أخذ ابنه كعب .
* سلسلة " المسيب بن علس " ، خال الأعشى ، راوية . . . إلخ

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي / علي الجندى (بتصرف وإيجاز) ص ١٣

(٢) الأغاني ١٦٥/٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٦/١ مع اختلاف يسير

(٣) من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي د/ سعيد ظلام ص ٤٤ ، ٤٥ (بتصرف)

كما وجدنا ما يمكن أن نسميه بـ " البيوتات الشعرية " مثل : " بيت
الشريد " في بنى سليم ، إذ فيه من آل الشريد : الشريد الأب ، وصخر
ومعاوية والخنساء أبناء الشريد . . . وفيه خالد بن صخر ، وهند ومالك
ابنا خالد ، كلهم شعراء .
وبيت " مرداس بن أبي عامر السلمي " فهو شاعر ، وأبناؤه : العباس
ومعاوية وسراقة وأنس . . . شعراء . ونجد ابني العباس : الحارث
وأنس شاعرين ، ثم الحارث بن أنس بن عباس . . هؤلاء جميعا شعراء من
بيت مرداس .

وكل بيت كانت فيه الخنساء هو بيت شعر . . .
وقد نجد اهتماما بالرواية من أفراد لا يمتون إلى الشعراء بصلة رحم
أو قرابة ولكنه الشعر ربط بينهم .
وتغنى الشعراء بأسماءهم من الشعراء الفحول الذين كان لهم فضل
عليهم في تغذية شاعريتهم وصل مواهبهم . . ومن هؤلاء " الفرزدق " في
قوله المشهور : (١)

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَائِغُ إِذْ مَضَى
وَأَبُو يَزِيدَ رَدُّ الْقُرُوحِ وَجَرَّوْلُ (٢)
وَالْفَحْلُ عُلْقِيَهُ الَّذِي كَانَتْ لِي
حَلْلُ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنَحَّلُ

(١) النقائض ٢٠٠ - ٢٠١ ودِيوانه ١٥٦/٢ دار صادر .
(٢) النوايغ : هم الثابتة الديباني ، والشيباني ، والجمدي ، أبو يزيد ،
المخبل السعدي ، ذو القروح : امرؤ القيس ، جرول : الحطيئة .

- وأخو بني قيس * وهن قتلته * . . . ومهلل الشعراء ذاك الأول (١)
والأعشيان كلاهما ومرقش * . . . وأخو قضاة قوله ينتخسل (٢)
واينا أبي سلي زهير وابنه * . . . وابن الفرقة حين جد العقول (٣)
الخ . . .

٢ - ولم تقتصر رواية الشعر على أبناء القبيلة * ولا على الشعراء
الذين ذكرناهم وإنما * كان هناك رواة للشعر الجاهلي * لا يختصون
بقبيلة معينة ولا بشاعر معين * وإنما كانوا يتناقلون الشعر من كـ
الشعراء * ومن كل القبائل * ويملاون محافلهم ومجالسهم وأسواقهم *
باعتبارهم سجلا عاما للأخبار والأنساب * والمآثر والوقائع * ولم يكن لهم
شغل سواه * (٤)

وكان من هؤلاء من يروى شعر الأيام - مثلا - لكل القبائل * ومن
عنا وجدنا شعرا لكثير من الشعراء في هذه * الأيام * في حين لم يبق
لهم شعر فيما سوى الأيام .

٤ - كما كانت حاجة النسابين إلى معرفة الشعر وروايته ماسة *
ندخوا ضمن هؤلاء الرواة * . . . ولذلك وجدنا شعرا في كتب الأنساب * يثبت
نسب الشاعر إلى قبيلة ما . . .

- (١) أخو بني قيس : طرفة * هن قتلته : أي القوافي لأنها كانت سببا في
قتله * إذ كان طويل اللسان في الهجاء .
(٢) الأعشيان : أعشى قيس وأعشى باعلة * أخو قضاة : أبو الظمخان
(٣) ابن الفرقة : حسان بن ثابت .
(٤) من الظواهر الغنية ٤٥

* طرق رواية الشعر الجاهلي :

ويمكن حصر طرق رواية الشعر الجاهلي فيما يلي :

١ - الأسواق الأدبية :

وهذه الأسواق قد تعقد مرة في الشهر أو في السنة ، وكانت أصلاً للبيع والشراء ثم استغلت في المفارقة وتناشد الأشعار والتنافس فيها :
ومن أشهر هذه الأسواق : سوق عكاظ .
قال الأصمعي : كان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها * (١)
فأنشده الأعشى أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم الشعراء .
ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته ، فقال لها النابغة :
والله لولا أن أبا بصير أنشدني أنفا لقت لك أشعر الجن والإنس ، فقال
حسان : والله لأننا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك : فقبض النابغة على
يده ، ثم قال : يا ابن أخي ، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي :
فإنك كالليل الذي هو مذكر كسي . . . وإن خلت أن المتأني عنك واسع
ثم قال للخنساء : أنشديه ، فأنشدته ، فقال : والله ما رأيت ذات مثانة
أشعر منك ! فقالت الخنساء : والله ولا ذا حسنين .
وقيل : إن النابغة قال لحسان : إنك لشاعر ، وإن أخت بني سليم
ليتكلمة (٢) .
ويدهى أن جمهور الحاضرين من الشعراء المبتدئين وغيرهم من السراة

(١) الشعر والشعراء ١٦٨ ، ٣٤٤

(٢) نقد الشعر / قدامة بن جعفر ص ١٨ والبوشح للمريزاني ص ٦٠

ومحبي الشعر ، وذوى القربى من كل شاعر مشترك - كانوا جميعا يسمعون فيسجلون بذاكرتهم وحافظتهم ما يُنشد من الشعر وما يُتلى من الأحكام وبذلك وصل إلينا .

٢ - مجالس الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومجالس الخلفاء :

أ (فقد كان عليه الصلاة والسلام يستنشد الصحابة الشعر - ويناثلهم عنه ، ويستعيد ما يستحسنه منه ، ويبدى إعجابه ببعضه ، وقد ينهى عن رواية بعضه فقد قال أبو وداعة :

رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر - رضى الله عنه - عند باب بنى شيبه ، فمر رجل وهو يقول :

يا أيُّها الرَّجُلُ المَحْوَلُ رَحْلَهُ . . . أَلَا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ الدَّارِ
هَيْلَتَكَ أَمَكَ لَوْ نَزَلَتْ بِرَحْلِهِمْ . . . مَنَعُوكَ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِقْتَارِ
فالتفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي بكر فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يا أيُّها الرَّجُلُ المَحْوَلُ رَحْلَهُ . . . أَلَا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ الدَّارِ
هَيْلَتَكَ أَمَكَ لَوْ نَزَلَتْ بِرَحْلِهِمْ . . . مَنَعُوكَ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِقْتَارِ
الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بَعِينِيهِمْ . . . حَتَّى يَعْوَدَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
وَيَكْلُلُونَ جَفَاتِهِمْ بِسِدِّ يَغِيهِمْ . . . حَتَّى تَغِيِبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ (١)
فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هكذا سمعت السرواة ينشدونه (٢) .

(١) الرجاف : البحر .

(٢) الأمالى : لأبي على القالى ٢٤١/١

وَأُنشِدُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْلَ أُمِيَّةَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ مِمَّا نَا وَمَصِيحُنَا بِالْخَيْرِ صَبَحْنَا رَبِّي وَمَسَانَا
(خَمْسَةُ آيَاتٍ) فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنْ كَادَ أُمِيَّةُ لَيْسَلِسِمَ
وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : آمَنَ شَعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ . (١)

ب (وَكَانَ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنَ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ :
فَقَدْ رَقِيَ الْمَنْبَرُ يَوْمًا وَقَالَ - فِيمَا قَالَ - يَخَاطِبُ الْأَنْصَارَ (٢) :

فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الْغَنَوِيُّ :
جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرْلِقَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّسَتْ
أَبْتُوا أَنْ يَمْلُوكُنَا وَلَوْ كَانَتْ أُمْنَا تَلَاقَى الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّسَتْ
هُمْ أَكْثَرُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ ظِلَالِ بَيْوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكْثَرَسَتْ
وَأَمَّا عَمْرٌ فَقَدْ كَانَ عَالِمًا بِالشَّعْرِ ، كَمَا كَانَتْ لَهُ أَحْكَامُ نَقْدِيَّةٍ عَلَى الشُّعْرَاءِ
وَأَشْعَارِهِمْ تَنَمُّ عَنْ حَاسَةِ التَّذَوُّقِ الشَّعْرِيِّ النَّافِذَةِ . وَكَانَ يَحْفَظُ كَثِيرًا
مِنَ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ .

حَتَّى قَالَ بَنُ سَلَامَ : * كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يَكْسَادُ
يَعْرِضُ لَهُ أَمْرٌ إِلَّا أَنْشَدَ فِيهِ بَيْتَ شِعْرٍ * (٣)
وَهَكَذَا كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ . بَلْ إِنْ سَائَرَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَحْفَظُونَ مِمَّنْ

(١) الْأَغَانِي ١٣٠٤/٤

(٢) رَاجِعْ / مَصَادِرُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ د / نَاصِرُ الدِّينِ الْأَسَدُ ص ٢٠٩

(٣) الْبَيَّانُ وَالتَّبْيِيحُ لِلْجَاحِظِ ٢٤١/١

(٤) مَصَادِرُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ ص ٢٠٤

الشعر الجاهلي ويروونه في مجالسهم .
 قيل للحسن البصري : أكان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 يمزجون ؟ قال : نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر (١)

٣ - المجالس الأدبية :

وأعني بها : مجالس الشعراء والنقاد والعلماء والرواة .
 ففي تلك المجالس كان ينشد الشعر أو يروى ، وتعقد المناظرات
 والموازعات الأدبية .

من ذلك - مثلاً - ما جاء أن الأصمعي قال يوماً (٢) :

ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خميسة ؟

فأنشد قول الأعشى : (٣)

صَفَرُ الوشَاحِينَ ، ملء الدَّرْعَ بَهْكَةً . . . إِذَا تَأَتَّى يَكَادُ الْخَضِرُ يَنْخَرِزُ

وأنشد قول علقمة بن عبدة (٤) :

صَفَرُ الوشَاحِينَ ، ملء الدَّرْعَ خُرْعَةً . . . كَأَنهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومٌ

وأنشد قول ذى الرمة : (٥)

تَرَى خَلْفَهَا نَصْفًا قَنَاقَةً قَوْمِيَّةً . . . وَنِصْفًا نَقًّا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَرَمَّرُ

فقال الأصمعي :

(١) طبادر الشعر الجاهلي ص ٢٠٤

(٢) أمالي المرتضى ١ / ٤٦٠ و ٤٦١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٣) ديوان الأعشى ص ٥٥ تحقيق د / محمد محمد حسين .

(٤) الوشاحين : أي أنها خميسة البطن ، دقيقة الخصر وشاحها يعلن

عنها ، والبهكة : الكبة الخفيفة ، تأتي : ترفق في المشي .

(٥) ديوانه ص ١٣٠ والمفردات ص ٩٠ ، (١٣) - الناعمة : الرشأ : الظفر

الصغير - ملزوم : موزن في البيوت وهو أحسن له .

(٥) ديوانه ص ٣١٩ ط المكتب الإسلامي . يتحرك تحركاً دون الارتجاج .

أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي : (١)
أفكها في وضع يكاد يزورها •• يقوى ويشيع ما أحب يزورها

٤ - الفناء ومجالس اللهو :

فقد كان للخلفاء والأمراء قِيَّاتٌ تغنين لهم • كما كان لهم غلمان
وعبيد يغنون لهم شعر الجاهليين وغيرهم •
وقد أورد الأصفهاني في أغانيه عددًا كبير من أصوات المغنين والمغنيات
الذين شدوا بأشعار الجاهليين حتى إنه سعى كتابه " الأغاني " •

٥ - علماء اللغة والشواهد والسير والمغازي :

فكتب اللغة والمعاجم والبلدان وغيرها زاخرة بالشعر الجاهلي •
وكذلك كتب السير والمغازي تورده قصائد كاملة للشعراء الجاهليين •

وهكذا كان دور الرواة في حفظ الشعر عظيمًا • غير أنه كان من بين
الرواة من يقوم بإصلاح الشعر •• وكان من بينهم من يضع الشعر وينحله
وهؤلاء وأولئك كان بعضهم من العلماء •••

لكن هناك طبقة من العلماء اتخذت من الشعر موضوعًا علميًا تدرسه
دراسة وتأخذه عن شيخ أو أستاذ في مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته
آنذاك • وكانوا يعقدون مجالسهم في المساجد أو منازل الشيوخ ويأتسى

(١) الأدمة هنا : لون أشرب بياضًا • الوضع : البياض • والإقواء : فسي
الأصل تفاد الزاد • والمراد به هنا : دقة خصرها • راجع أمالي
المرعشي ١/ ٤٦٠ و ٤٦١

لهم التلاميذ فيقرأ عليهم ديوان الشاعر أو ديوان القبيلة ، والتلاميذ يتابعون القراءة في نسخ بين أيديهم أو يستمعون لمن يقرأ . . (١) الخ
ولكن يبدو أن هذه الطبقة من العلماء الرواة لم تكن موجودة قبل مطلع القرن الثاني الهجري ، وربما كان أول شيوخها الذين مهدوا لها الطريق لمن تبعهم فكانوا هم الرواة السابقين : (٢)
أبو عمرو بن الملا ت ١٥٤ هـ ، وحامد الراوية ت ١٥٦ هـ ، كما سيأتى في التدوين .

ثانيا : التدوين :

وهو يعتمد على الكتابة . . فهل عرف الجاهليون الكتابة ؟

نعم عرف الجاهليون الكتابة بالأدلة الآتية :

١ - هذه النقوش الحجرية المكتشفة التي تدل على أن العرب الجاهليين عرفوا الكتابة بالحروف العربية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي ، وأنهم كتبوا بهذا الخط العربي قبل الإسلام بثلاثة قرون على الأقل . . (٣)

٢ - استخدام الشعراء الجاهليين لألفاظ (الكتابة ، الكتاب ،

الخط . .) وما أشبهها من أدوات الكتابة ، وتشبيههم الأطلال ببقايا خطوط على الرق . .

كل ذلك يدل على وجود الكتابة في الجاهلية .

(١) ، (٢) مصادر الشعر الجاهلي ٢٥١ ، ٢٥٢ (يتصرف وإيجاز) .

(٣) نفسه ١٠٧ يتصرف كبير .

ومن شعرهم في ذلك قول امرئ القيس : (١)

لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرُهُ فَشَجَانِي ۰ ۰ كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَرِيسٍ يَمَانِي

وقول لبيد بن ربيعة العامري - في معلقته - : (٢)

وَجَلَّ السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنبِهَا ۰ ۰ زُرِّيُّ تَجِدُ مَتُونَهَا أَقْلَامُهَا

وقول خفاف بن ندبة السلمي : (٣)

مَا هَاجَكَ الْيَوْمَ مِنْ رَسْمٍ وَأَطْلَالٍ ۰ ۰ مِنْهَا مَبِينٌ ۰ ۰ وَمِنْهَا دَارُشٌ بِأَلَى

بَيْنَ السَّنَامِ وَهَضْمِهِ وَذَى بَقْسِرٍ ۰ ۰ كَأَنبِهَا صَحْفٌ يَخْطُهَا تَالِسِي

ومثل هذا كثير في أشعارهم .

٣ - كتابة الجاهليين قصائدهم المختارة وتعليقها على أركان

الكعبة ۰ ومن هنا سميت المعلقات ۰ على خلاف في ذلك كما سيأتي . ۰ ۰

٤ - كتابة قريش صحيفة تعاقدا فيها على بنى المطلب على ألا

يتكحوا اليهم ۰ ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ۰ ولا يبتاعوا منهم ۰ ثم

تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ۰ ثم علقوا الصحيفة في حوف الكعبة توكيدا

على أنفسهم . ۰ ۰ ۰ وقد سلط الله الأرض على صحيفة قريش فلم تدع فيها

اسما لله إلا أثبتته فيها ۰ ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان . ۰ ۰ ۰ (٤)

٥ - استخدام الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكتابة في رسائله

إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام . (٥)

(١) ديوانه ص ٨٥ والبيت مطلع قصيدة .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٥٢٦

(٣) شعر خفاف ص ٨٨

(٤) سيرة ابن هشام ١٢٥٣/٢ - ٢١ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ۰

والبداية والنهاية ٨١/٣

(٥) في تاريخ الأدب الجاهلي د / علي الجندى ص ١٤٠ بتصرف وإيجاز .

٦ - كتابة الوحى " القرآن الكريم " .

وبدهى أن المسلمين لم يخترعوا الكتابة ، وإنما وجدت قبل مبعث النبى
- صلى الله عليه وسلم - بزمان

غير أن معرفة الجاهليين للكتابة لم تكن إلا فى نطاق ضيق يـصـح
أن يوصف بالندرة ، حتى ذهب بعض المحدثين إلى القول بأن الجزيرة
العربية كلها لم يكن بها من الكتاب سوى تسعة عشر ، منهم اثنان أو ثلاثة
فى مكة . (١)

لكن الشعر الجاهلى لم يدون بأيدي الجاهليين ، وإنما قيّد فقط ،
وهناك فرق بين التقييد والتدوين :

فالتقييد : لا يعنى أكثر من مجرد تسجيل عاير لما يعرض من شئون
الحياة بما فيها من شعر ، أى دون تنظيم وترتيب وتبويب ودون منهج
وأما التدوين : فيقصد به جمع الصحف ، وضم بعضها إلى بعض حتى
يكون لنا منها ديوان ، ولا بد له من أن يكون عملاً مقصوداً ، متمسداً ،
يرمى إلى هذه الغاية . (٢)

فالتقييد إذاً سابق على التدوين ، وإن لم يكن ذلك فى حسيان الجاهليين
وبهذا التفريق بين التقييد والتدوين يكاد يزول الخلاف بين من يذهب
إلى تدوين الجاهليين لشعرهم ومن يذهب إلى إنكار ذلك .

نعم . لقد كان بعض الشعراء الجاهليين يعرفون الكتابة ، وكان
بعضهم يكتب شعره بنفسه ، ومن هؤلاء : لقيط بن يعمر الإيادى ، وليبيد

(١) نقد الشعر الجاهلى / محمد فريد وجدى ص ٦٨

(٢) مصادر الشعر الجاهلى ص ١٠٨ (يتصرف كبير وإيجاز) .

ابن ربيعة العامري الذي أرسل اليه عمر بن الخطاب عن طريق واليه على الكوفة " المغيرة بن شعبة " - يطلب منه أن يكتب ما قاله في الإسلام . . . فقال لبديد : إن شئت ما عفى عنه (يعنى في الجاهلية) . قال : لا ، ما قلت في الإسلام ، فانطلق إلى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها فقال : أبدلنى الله هذه في الإسلام مكان الشعر ، فكافأه عمر - رضى الله عنه - . (١) .

وأكثر شعراء الجاهلية لم يكونوا يعرفون الكتابة ، وقد يضطر أحدهم إلى استكتاب من يعرفها ، كما فعل عمرو بن كلثوم " حين بلغه أن " النعمان بن المنذر " يتوعد ، فدعا كاتباً من العرب فكتب اليه : (٢) ألا أبلغ النعمان عني رسالة . . . فمدحك تحوّل وذمك قسارح متى تلقني في تغلب ابنة وائل . . . وأشياها ترقى إليك المسالح ولما جاء الإسلام ، ونزل القرآن الكريم ، كان كبار الصحابة مثل " عمر بن الخطاب " و " عبد الله بن عباس " وغيرهما يستمعون بالشعر الجاهلى في تفسير ما غرض من ألفاظ القرآن الكريم . وهذا عمر يقول : (٣)

" عليكم ديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم " .

(١) خزانة الأدب ٢/٢٤٧-٢٤٨ هـ تحقيق هارون .

(٢) الأغاني ٥٨/١١ (دار الكتب) .

(٣) تفسير البيضاوى / سورة النحل آية ٤٦

وقال ابن عباس: (١)

"إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر" فإنه ديوان العرب " وظلت كتابة الشعر لا تعد وصورة التقييد " حتى مضت الأمصار وراجعت العرب الأشعار " وأخذت فكرة التدوين تسلك طريقها في تسجيل غزوات الرسول وأحاديثه " وفي تقييد بعض الأخبار التاريخية " (٢) بدأ تدوين الشعر في عصر الأمويين ٠٠ وكانت هناك أسباب قوية عديدة حثت ودفعت إلى هذا التدوين ٠ ومن هذه الأسباب : (٣)

- ١ - العصبية القبلية التي شبت منذ النزاع بين علي ومعاوية " وقد ساعد الأمويون على إحياء تلك العصبية إلهاءً للناس فحرقوا كل قبيلة على جمع ما يمكنها من شعر شعرائها للتفاخر ٠
- ٢ - إنشاء الدولة بتنظيماتها المختلفة استلزم اهتمامهم بأنسابهم فرجعوا إلى الشعر القديم الزاخر بها وكأنما كان سجلاً لهم ٠
- ٣ - سهولة عملية الكتابة بتوافر أدواتها ٠
- ٤ - كثرة الفتوحات الإسلامية واتساع الدولة ٠
- ٥ - تشجيع واهتمام الخلفاء والأمراء بالأدب جعل الشعب يهتم به أيضاً لأن " الناس على دين ملوكهم " ٠ وقد أفاضت كتب الأدب بذكر مجالس الخلفاء ونوّهت بحفظهم لكثير من أشعار الجاهليين ٠

(١) شرح الحياصة / التبريزي ٣ / ١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد ٠

(٢) تاريخ الأدب العربي / الجاهلي د / شوقي ضيف ١٥٩

(٣) لبعض هذه الأسباب انظر / في تاريخ الأدب الجاهلي د / عيسى الجندى ١٤٦ ١٤٧

ومن هنا نالت هذا الاهتمام الكبير من علماء الأدب واللغة
لأن كانت بمثابة المثل الأعلى في الشعر - إن صح التعبير -

ويقال إن أول من جمعها في ديوان هو : حماد الراوية ، وقد
سماها "السموط" - جمع سوط وهو العقد - لنفاستها .
وعدد المعلقات على المشهور سبع وأصحابها هم :

امرؤ القيس بن حجر الكندي ، طرفة بن العبد البكري ، زهير
ابن أبي سلى ، ليبد بن ربيعة العامري ، عامر بن كلثوم التغلبي
عنتر بن شداد العبسي . . . وهؤلاء الستة مجمع عليهم . وأكثر
الرواة على أن سابعهم هو "الحارث بن حلزة" . .

والمعلقات عند أبي زيد القرشي ثمان ، وذلك بعد حذف معلقة
الحارث بن حلزة ، وإضافة معلقتي النابغة الذبياني والأعشى
أما أبو زكريا التبريزي فقد عدّها سبعة ، ثم أضاف إليها ثلاثاً
لنابغة ومظلمها :

يا دَأْرَمِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنَدُ

أَقْوَمَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَسَدِ

وللأعشى ومظلمها :

وَدَّعَ هَرِيرَةً إِنْ انْتَبَكَّ مَرْتَجِلٌ

وهل تطيق وداعاً أيها الرّجُل

ولعبيد بن الأبرص الأسدي ومظلمها :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ . . . فَاَلْقَطِيَّاتُ فَالذُّرُوبُ

وبذلك يصير «جموعها» عند «عشر قصائد» .

تسميتها :

يطلق على هذه القصائد أكثر من اسم ، فيقال لها : السبع الطوال ، والمذهبات ، والمنمطة ، والمشهورات ، والسبعيات ، والسبع الجاهليات .

وأشهر أسمائها : المعلقة . . . ولهذا التسمية سبب مشهور وهو أنها كتبت بما «الذهب» علفت في جوف الكعبة ، وقد ذهب إلى ذلك : ابن الكلبي ، وابن عبد ربه ، وابن رشيق ، وابن خلدون ، والبغدادى .

وأنكر بعض النقاد الكتابة والتعليق معا ، وبعضهم أنكر التعليق كمصطفى صادق الرافعى .

ولكننا نميل إلى رأى الأول وذلك لأن الجاهليين كانوا يعلقون العهود والمواثيق المهمة عندهم — بعد كتابتها — في جوف الكعبة ولا يخفى علينا أمر صحيفة المقاطعة التى كتبتها قريش ضد الرسول والمسلمين وقد علفت في جوف الكعبة ، فما المانع أن يكتبوا شعرا ويعلقوه !! لا سيما بعد معرفتنا قدر الشعر وقيمه عندهم . .

عرض موجز للمعلقات

١ - معلقة امرئ القيس : (٨)

عدد أبياتها ثمانية وسبعون بيتا وقيل اثنان وثمانون بيتا وقيل
هي ست وثمانون .

وليس هناك سبب خاص مباشر لإنشاده تلك المعلقة سوى أنه
أراد أن يسجل مشاعره وأحاسيسه وذكرياته في شبابه ، وأن يستعرض
صفحات من لهوه وعيشه وما إلى ذلك مما تناوله فيها :
وقد بدأها بقوله :

يَقَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْكَرٍ

بَسْقَطِ الْكَلْبَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (١)

وقد عد النقاد القدماء هذا المطلع من مبتكرات امرئ القيس . .
واستغرق الحديث عن ذكرى الحبيبة تسعة أبيات . . وقد عرض بعض
ذكريات لهوه وعيشه فكان من ذلك قوله :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ خُدْرٌ عَنِيَّ

فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي (٢)

(٨) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي كان أبوه ملكا ، قُتِلَتْهُ بَنُو اسد ، وكان
امرؤ القيس عابثا لا هيبا حتى قتل أبوه فنذر أن يثار له ولكنه فشل
في ذلك حتى قتل .

(١) الدخول وحومل : مرضعان . أما سقَطِ الكَلْبَى : فالسقط : منقطع
الرمل . الكَلْبَى : حيث ياتى الرمل ويدق .

(٢) عنيزة : اسم امرأة . مُرْجَلِي : أي تسقر بهميري فتدعني ذات رجلك .

- تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْبُ بِدُنَا مَعَا
- عَقَرْتُ بِعَيْرِي يَا أَمْرًا الْقَيْمُ فَانْزِلْ (١)
- فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْجِي زَمَانًا
- وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ (٢)
- فَمَثَلُكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَتَرَضَّيْتُ
- فَأَلْهَيْتُنِي عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَحْذُولِ
- ثم يتحدث إلى حبيبته فاطمة ، ويصور دلالها مويحاتها في أبيات
ستذكرها في الغزل (ضمن موضوعات الشعر الجاهلي)
ويصف الليل فيستغرق من القصيدة خمسة أبيات قائلا :
وَلَيْلُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْضِي سُدَّ وَلَكُمُ
عَلَى بَأَنَوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَسَّى ... الخ
- ثم يصف خروجه مبكرا لرحلة صيد على فرس يصور سرعته ويصفه وصفًا
بديعا (سيأتي بعد) ويختم المعلقة بوصف السحاب والبرق والمطر
وإثارة في اثني عشر بيتا .
- وكانت هذه المعلقة بما ضمنه من أغراض ، وبما اشتملت عليه من
أوصاف المثال الذي احتذاء الشعراء بعده ، وبه صار رئيس القحول ،
ومن أكبر الوصافين أو هو أولهم ، والمقدم عليهم ، وأمير شعرائهم .
- (١) الغبيط : اليهودج .
- (٢) "لا تبعديني من جنائك المعلل" قال الأصمعي : جعلها بمنزلة
ما يصيب من راحة الشجرة وثمرها .

٢ - معلقة طرفة (*)

عدد أبياتها مائة وثمانية أو مائة وخمسة وقيل مائة واثنان . وهي
أطول المعلقات وسبب إنشاده إياها : أنه كان لطرفة ولأخيه "معيد"
إبل يرعياها يوما ، فأغيبها طرفة في المرعى ، فلامه أخوه على فعله
وقال : أرايت إذا ذهبت إبلنا أكتت ترد ها بشمرك ؟
قال : فإني لأخرج أبدا حتى تعلم أن شمري سيرد ها إن أخذت !
وأخذها ناس من مضر
وقيل : بل إن الإبل التي ضلت هي إبل "معيد" فسأل "طرفة"
ابن عمه "مالكا" أن يعينه في طلبها ، فلامه وقال : فرطت فيها ثم أقبلت
تتعب في طلبها ، فقال قصيدته .
غير أننا لا نجد هذا السبب على صورة واضحة بين أبيات المعلقة
إلا في قوله :

فما لي أراي وابن عمي مالكا
معي أدري منه يتأ عنى ويبيع
يلوم ، وما أدري علام يلوم
كما لامني في الحق قُرط بن أعيد

(*) هو طرفة بن العيد البكري بن سفيان البكري ، من بكر بن وائل ،
خاله "التملس" ، وعمه "المرقش الأصغر" وأخته "الخرنبيق"
وثلاثتهم شعراء . . . وقد ظهرت شاعريته في سن مبكرة ، وكان جريشا
على هجاء قومه وغيرهم . وكان مد من خم . . . ثل وهو ابن عشرين
سنه ، ولذلك يقال له "ابن العشرين" ، وكان قتله بإيعاز من
الملك عمرو بن هند .

وَأَيَّاسْنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُ
كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رِئْسِ مُلْحَسِدٍ
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهِ غَيْرَ أَنْتَنِي
نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفَلْ حُمُولَةَ مَعِيَدٍ

وهناك بعض الأبيات يختلط فيها العتاب بالفخر، والهجاء
بالتهديد، ولا يختص بالإبل التي ضيعها، وطلب العون على
ردها .

ونستنتج من ذلك : أن هذه القصيدة لم يصنعها طرفة في
وقت واحد، وإنما صنعها على مراحل، استكمل لها خلال تلك المدة
الخصائص الفنية في روية وتؤدة حتى صارت من عيون الشعراء
الجاهليين

وقد بدأ طرفة معلقته بذكر الأطلال قائلاً :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ يَبْرِقُ شَهْمٌ

تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشِيمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ (١)

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ

يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّ

ثم انتقل بعد ذلك مباشرة إلى وصف وكب ارتحال حبيبته مشبهاً
إياه بالسفينة التي كان يراها كثيراً في موطنه بالبحرين على الخليج
الفارسي :

(١) أطلال : جمع ظل وهو ما شُخص من آثار الدار . برقة : مكان
اختلط ترابه بحجارة أو حصي . شهيد : موضع .

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَسَدُوهُ

(١) خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِيسَرٌ دَدُ

وذلك في ثلاثة أبيات • ثم أخذ في وصف الحبيبة (كما سيأتي في موضوعات الشعر) وذلك في خمسة أبيات — وهذا بخلاف "امسرى" القيس" الذي احتلت المرأة في معلقته مساحة كبيرة ولعل ذلك راجع إلى أن "طرفة" لم يتعلق بها إلى درجة يطفى معها ذكرها على بقية موضوعات المعلقة •

ثم أخذ يصف الناقة وصفا عظيما • إذ تتبعها جزئية جزئية • من رأسها إلى أرجلها • فاستأهل — بذلك الوصف البارح — أن يكون إماما كما كان "امرؤ القيس" إماما في وصف فرسه • يقول طرفة :

وَلَزِقَ لِأُخْصَى الْهَمِّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ

يَعْمُوجًا مِرْقَالِ تَرُوحٍ وَتَغْتَسِدِي (٢)

(١) الحدود : الثقباب أو هي مراكب النساء • واحدها : حُدُوج • المالكية من بني مالك بن صبيعة يقصد "خولة" • خَلَايَا سَفِين : سفن عظيمة • النواصف : جمع ناصفة وهي مجارى الماء إلى البحر : دَد : أرض معروفة •

(٢) الهَم : النية والعزم • احتضاره : حضوره • عوجاء : ناقة تعوج نى سيرها موحا ونشاطا • مِرْقَال : المرسعة • تَرُوح : وتغتنسدى • لا يسميها التذكير أو التأخير •

أَمُونٌ كَأُلُوحِ الْإِرَانِ نَسَأَتْهُمَا
على لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بَرْجٍ (١)

إلى أن يقول :

على مثلها أَمْضِ إِذَا قَالَ صَاحِبِي

أَلَا لَيْتَنِي أَفَدَيْكَ مِنْهَا وَأَقْتَدِي

واستغرق وصف الناقة منه ثلاثة وثلاثين بيتاً ، منتقل بعد هذا
إلى الفخر بنفسه ، وهو أكبر الموضوعات حجماً في القصيدة إذ ذكر
أخلاقه وشماله ، وبلاءه حين البأس ، وعراقة الأصل ، ووصف مجالس
الشراب . ثم ذكر آمانيه في الحياة ، تلك الحياة التي لا يهتم بها
ولا يحرص عليها

ومن الأبيات التي استجادها النقاد قوله :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَلَ جِلَّتْ أُنْسِي

عُتِبْتُ فَلَمْ أَكْمَلْ وَلَمْ أَتِمَّ

ومن الأبيات التي تعد حكماً عظيمة قوله عن الموت :

(١) الأمون : الناقة الموثقة الخلق . الإيران : تابوت كانوا يجعلون فيه
سادتهم وكبراءهم فقط . نَسَأَتْهَا : حملتها على السيف في هذه
الطريق . اللاحِب : الطريق الذي فيه تمرجات . بَرْجٍ :
كساء من أكسية الأشراف .

أَرَى الْمَوْتَ يِعْتَمُ الْكَرَامَ وَيَضْطَفُ
 عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَتَشَدِّدِ (١)
 أَرَى الْعَيْشَ كَثْرًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلٍ
 وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْفُصُ
 لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَسَى
 لَكَالطَّوْلِ الْمَرْخَى وَفُتْيَاهُ فِي الْيَدِ (٢)
 مَتَى مَا يَشَأْ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ
 وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمُنِيَةِ يَنْفُصُ

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن ابن عمه "مالك" وكيف كان
 قاسيًا هو وقومه مع شاعرنا، وبأسف أشد الأسف لأن تكون تلك أخلاق
 قومه الذين ظلموه فيقول :

وظَلُمُ ذُرِّي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَرَارَةً
 عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْنَدِ

وكان ذلك داعيًا للتحدث عن نفسه مرة ثانية « ونعت نفسه نعوذا
 تسلكه في مصاف العظماء الأشراف الذين يستحقون التكريم والثناء من
 أقوامهم »
 ويختتم "طرفة" معلقته بأبيات من الحكم العظيمة التي تتم عن تجاربه
 ومشاهداته في الحياة فيقول :

(١) يعتام : يختار • عقيلة كل شيء : خيرته وأحسنه • المتشدد :
 السخيل المسك •

(٢) أي إن الموت في حالة إخطائه التي كالطول أي كالحبيل المرخي وهو
 بيد الإنسان يجذبه وقتما يشاء •

سَتُبْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُسْزِدْ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْسُجْ لَهُ
بِتَأْتَا وَلَمْ تُضِرْ لَهُ وَقْتُ مَوْعِدِ
لَعَنُوكَ مَا الْيَوْمَ إِلَّا مَعْرَاةُ
فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرِفِهَا فَتَسْزِدْ
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ
فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ مُقْتَسِدٌ

هذه هي معلقة طرفة . وإذا كان الدكتور طه حسين قد شك في
معلقة امرئ القيس فإنه لا يكاد يشك هنا إلا فيما وصف فيه طرفة الناقصة
ويرى أن أكثر هذه الأوصاف أقرب إلى أن يكون من صنعة العلماء باللغة
منه إلى شيء آخره ولا دليل عنده على ذلك سوى صعوبة الألفاظ . .
غير أن الناظر في المعلقة - مع اختلاف طبيعة الألفاظ في وصف الناقصة
عن سائر الأغراض - لا يجد اختلافا كبيرا . . (١)
ثم إن الألفاظ التي تستعمل في الغزل لا يتأتى أن تستعمل في
وصف الناقصة أو الفرس مثلا . فلوغة الغزل غير لغة الجصف والبرثاء غير
الحماصة . .

(١) راجع / معلقات العرب د / بدوي طبانة ص ١٢٣ .

٣ - معلقة عنتره :

ستأتى ترجمته ، وعرض لأبيات من المعلقة ، وتحليل لها ، في قسم
التراجم . .

٤ - معلقة زهير بن أبي سلمى (١)

عدد أبياتها : تسعة وخمسون بيتاً ، وقيل هي ستون ، وقيل أربع
وستون .

سبب إنشادها : كانت الحرب مشتعلة بين قبيلتين عربيتين هما
عبس وذبيان ، وقتل من الفريقين عدد كبير ، فقام "هرم بن سنان"
و"الحارث بن عوف" ساعيين بالصلح بين القبيلتين متحاملين ديات القتلى ،
وتحركت شاعرية "زهير" تشيد بالرجلين ، وتدح فعلهما .
وقد بدأ "زهير" معلقته بالوقوف على الأطلال بعد عشرين عاماً
من ذكريات له قضاها في تلك الأماكن :

(١) هو : زهير بن أبي سلمى (ربيعه) بن رياح بن قرط . . . من مزينة
وقيل من غطفان ، نشأ في بيت شعر فكان "يشامه بن الغدير" خيال
أبيه شاعراً ، وأبوه "أبو سلمى" شاعر ، وزوج أمه "أوس بن حجر"
شاعر ، واخته "سلمى" شاعرة ، وأبناء "كعب بن جحر" شاعران .
وزهير هو أحد الشعراء الثلاثة النقاد في الجاهلية وهم امرؤ
القيس ، والنابغة ، وزهير .

- أَمِ أَوْفَى دُمْنَةً لَمْ تَكَلَّ _____
 (١) يَحْمِلُهَا نَوَى الدَّرَاجِ فَالْمَنْتَقِلُ _____
 ديار لها بالرقمتين كأنه _____
 (٢) مَرَجِيحٌ يَقْبِضُ فِي نَوَاشِرٍ وَشَمٍ _____
 يها الحيث والآرام تَبْشِيرٌ خَدَقَتِ _____
 (٣) وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِعٍ _____
 وقتت بها من بعد عشرين حَجَّةً _____
 (٤) فَلَايَا عَرَفَتْ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّبِهِ _____

إلخ ..

ثم تذكر ساعة الفراق ، وصور الركب واصفا الرحلة ، بدايتها _____

ونهايتها ..

- (١) أم أوفى : زوجته ، وكان قد طلقها ثم تدم وأراد أن يردها فأبست
 فيكاهها . الدمنة : آثار الدار . حومانة الدارج : والمتنظم : موضعان
 (٢) الرقمتان : لإحداهما قرب البصرة والأخرى قرب المدينة . مراجيع
 وشم : أى آثار وشم . النواشر : عصب الذراع من ظاهرها وباطنها .
 المعصم : موضع السوار .
 (٣) الحيث : البقرة ، وأحدها أعين وعينا . الآرام : الطباء الخالصة
 البيضاء ، وأحدها رثم . أطلاؤها : أى أبناؤها ، وأحدها : طلا
 مجتم : الموضع الذى تزد فيه وتبيت .
 (٤) لآيها : جهدا وتعبا وشدة .

ثم وصل إلى الغرض الأصلي في القصيدة فمدح الساعيين بالسلام
(كما سيأتي بعد) .

ووجه الخطاب إلى الأحلاف المتحاربين ولا سيما أسد وغطفان وطي
ينذرهم أن يحنثوا فيما تعاهدوا مع القوم عليه ، ويحذّرهم من أن يكونوا
مبطنين خلاف ما أظهروا ، وعرج بحد يسه إلى الحرب فذكر مساوئها
وويلاتها ، وشبهها بالسباع الضارية تارة ، وبالرحى تعرك يقال لها تارة
أخرى :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتهم
وما هو عنها بالحديث المرجم
مى تبعثوها تبعثوها زويهم
وتضر إذا ضربتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرّحى يقال لها
وتلقح كشافاً ثم تنتج فتنتج (١)

إلخ .

ثم وصل إلى طائفة من الحكم ساقها في تلك المعلقة وسوف تعرض
لها في غرض "الحكمة"
ومن خصائص هذه المعلقة :

١ - تصوير الحرب في صورة مخيفة قبيحة .

٢ - كثرة الحكم .

(١) الثغال : جلدة أو خرقة توضع تحت الرحى ليكون ما سقط من
الطحين في الثغال .

٣ - قوة الأسلوب .

٤ - القصيدة كلها على نمط واحد من القوة في الأبيات ومثانة

التراكيب وهذا طبع زهير صاحب الحوليات . .

٥ - ويتميز شعره كله بالصدق وعدم المبالغة ولد لك قال عمر بن

الخطاب عنه :

"كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه" .

٦ - وهناك صلة قوية بين معلقتي زهير وعنترة فكلتاها فُسي

حروب داحس والغبراء . . قال عنترة قصيدته قبل انتهاء الحرب ،

أما زهير فقد قالها بعد انتهاءها والموضوعات التي اشتملت عليها كل

معلقة تختلف عن الأخرى كما هو واضح ، فرغم أن الموضوع واحد إلا أن

شعر الحرب (عند عنترة) يختلف تماما عن شعر السلم ومدح القائمين

به الساعيين فيه "عند زهير" .

٥ - معلقة عمرو بن كلثوم (*) وهي قصيدة مرتجلة

عدد أبياتها ستة وتسعون بيتا ، ورواها ابن الأنباري أربعين

وتسعين .

وقيل هي مائة وأربعة . . ويقال إنها كانت تزيد عن ألف بيت

وهذا جزء منها . .

(١) عمرو بن كلثوم من قبيلة تغلب ومن بيت السيادة فيها . سباد

قبيلته في الخامسة عشرة وذلك بحسن بلائه وشجاعته وقصاحته ومُتَمَرِّ

طويلا ، وكانت وفاته سنة ٦٠٠ تقريبا .

سبب إنشادها :

يقول ابن قتيبة^(١) : "كان سبب ذلك أن عمرو بن هند " قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أن أحدا من العرب تأتف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم ، عمرو بن كلثوم ، قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأن لباهم مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب وتعلمها كلثوم بن مالك بن عتاب أقرب العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه .

فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ويبأله أن يزيه أمه ، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت ليلى بنت مهلهل في طعن من بني تغلب وأرسل الملك إلى وجوه مملكته فحضروا ، ودخل الضيوف ، ودخلت ليلى بنت مهلهل على هند في جانب الرواق ، وكانت قد صرفت الخدم . . . ونصبت المائدة . . . فقالت هند :

يا ليلى ، ناوليني الطبق ! فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، فأعادت عليها الطلب وألقتها فصاحت ليلى : والله ! يا لتغلب ! فسمها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر إلى وجه عمرو بن هند فعرف الشر فيه ، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق فأخذه وضرب به رأس " عمرو بن هند " حتى قتله ، ونهبت تغلب كل ما في السرواق وساروا إلى الجزيرة .

(١) الشعر والشعراء ٢٣٤ ، ٢٣٥

وقد يدأها عمرو بن كلثوم قائلا :

أَلَا هَيْتَ يَصْحَبُكَ فَاصْبَحِينَ

وَلَا تَبْقَى خُمُورُ الْأُنْدَرِينِ

وهي مقدمة خاصة لم تعهد عند غيره من الشعراء ، وإنما المعهود في أشعار الجاهلية أن يفتتحوا القصيدة بالوقوف على الأطلال ، مما دعا بعضهم إلى التشكيك في هذه الافتتاحية ، وإلى القول بأن مقدمة القصيدة قد ضاع .

وقد تناول عمرو حديث الخمر في خمسة أبيات ، ثم ذكر محبوبته ووجد عليها ، ثم انتقل إلى الغرض الأصلي في القصيدة وهو الفخر القبلي فيقول :-

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَّرُو بَنَ هُنْدَ

(١) تَكُونُ لِقِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا

بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَّرُو بَنَ هُنْدَ

تُطِيعُ بَنَا الْوَشَاةِ وَتَزْدَرِينَا

إلى أن يقول :

وَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَرَدٍ

(٢) إِذَا قُبِبَ بِأَيْطَحِهَا بَنِينَا

(١) الْقَيْلُ : البلك ، وذلك لأنه إذا قال أطيع . القطين : الخدم والتباع .

(٢) قِب : جمع قبة . تضرب بالأيطح - وهو ما اتسع من بطون الأوديسة - للمفاخرات .

يَأْتَا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَّرْتُمْ _____
وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ _____
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْتُمْ _____
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِئْتُمْ _____
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْتُمْ _____
وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِيتُمْ _____

إلى أن يختم بقوله :

إِذَا بَلَغَ الْفُطَامَ لَنَا صَبْرٌ _____
تَخَرُّ لَهُ الْجَبَّارُ سَاجِدٌ _____

وبلاحظ على هذه المعلقة :

* المبالغة في الفخر والغلو فيه ولا سيما البيت الأخير ففيه مبالغـة

غير مقبولة .

* في ألفاظها رقة وسهولة تميزت بها عن سائر المعلقات ، وهذا

راجع إلى طبيعة الشاعر أولاً ، ثم بيئته إذ كان يعيش قريباً من الحواضر .

* المعاني لا غموض فيها ولا التواء .

* الشاعر لا يفخر بنفسه ، وإنما يعتز بقيمته ويفخر بها ، ولذلك

كثر استعمال ضمير الجمع (أَنَا) .

٦ - معلقة الحارث بن حلزة (*)

(*) الحارث بن حلزة من بني يشكر ، من بكر بن وائل . قال أبو عبيدة :

أَجُودُ الشُّعْرَاءِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً جَيِّدَةً طَوِيلَةً ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : عمرو بن كلثوم

الحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد وكان سيِّئاً من سادات قومه

مات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة .

عدد أبياتها : خمسة وثمانون بيتاً • ورواها ابن الأثير أربعاً وثمانين • وهي مرتجلة •

وسبب إنشادها : أن دماً كانت بين بكر وتغلب ، اختلفوا عليها وترافعوا فيها إلى عمرو بن هند ليحكم بينهم ، وعلم الحارث أن ضلّح الملك على رهطه من بكر مع تغلب ، فوقف - وكان به برص - فألقى الملك بينه وبينه سترًا ، ثم جعل يعجبه قوله حتى رفع الستر عنه وأدناه فأجلسه معه وحكم لبكر على تغلب •

وقد بدأها الحارث يذكر المرأة فشبه بأسماء ، التي أدنته بفراقها • •
أَدْنَتْنا بِبَيْتِهَا أَسْمَاءُ • • رَبِّ ثَارٍ يُعَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)

وذلك في تسعة أبيات ، ثم انتقل يصف ناقته قائلاً :

غير أني قد أستمع على الهم • • إذا خَفَّ بالثَوَى النجاء (٢)
ثم أخذ يذكر تجنى قبيلة تغلب على قومه بني بكر ، واستعدادهم لحربهم ، ويوجه حديثه إلى عمرو بن كلثوم سيد تغلب قائلاً :

أيُّها الناطق المرقش عنا • • عند عمروه وهل لذاك بقاء (٣)
لأتخلنا على غراتك أنسا • • قَهْلٌ ما قد وشى بنا الأعداء (٤)
فَبَقِينَا على الشَّناةِ تنمينًا • • حُصُونٌ وعِزَّةٌ قَعَسًا

(١) البين : الفراق • الثاوى : المقيم •

(٢) الثوى : المقيم • النجاء : الاسراع •

(٣) المرقش : المزين المزخرف يقصد عمرو بن كلثوم •

(٤) أي لا تظن أننا خضمنّا •

ويبين له أن بني بكر لا يعجبون بهذه الوشائيات الحقيرة ، فـ
كالجبال الرواسي لا تنال منها الرياح — ويأخذ في الفخر بقومه والمهم
من المنعة والمآثر والأمجاد .
ويصل إلى مدح الملك عمرو بن هند ، ويذكره بأiasم ومكازمهم ومن
هنا فخر بقبيلته واستغرق هذا الفخر ستة عشر بيتاً .

موازنة بين مملكتي الحارث وعمرو بن كلثوم
 * تُعد هذه المعلقة سجلاً لكثير من الأحداث السياسية والتاريخية
 ففيها حديث عن الحرب بين بكر وتغلب، وما كان من صلح، وعمه
 وأيام انتصرت فيها تغلب، وأخرى كانت الغلبة فيها لبكر... إلخ .
 * كان الحارث بن حلزة قِطْعاً للملك واستطاع أن يستميله وأن يضمه
 إلى صفوف قبيلته، هذا على الرغم من إشاداته بقومه وفخره بهم، بخلاف
 عمرو فقد كان ثائراً مغضباً للملك .

* وتبدو في معلقة الحارث إمارات القوة في جزالة الألفاظ ومتانة التراكيب بخلاف معلقة عمرو بن كلثوم - كما أُلِّفنا - فيغلب عليها السهولة .

* تحققت في المعلقة الوحدة المعنوية ، بخلاف معلقة عمرو فالتفكك واضح فيها ، والتكرار كذلك .

* معلقة عمرو أطول من معلقة الحارث *

* مطلع الحارث تقلیدی ، و مطلع عمرو لیس كذلك وإنما خرج به

على النمط التقليدي عند الجاهليين *

٧ - معلقة لببید بن ربیعۃ العامری (*)

وهو أحدث أصحاب المعلقات السبع . .

عدد أبياتها : تسعة وثمانون ، ورواها ابن الأنباري ثمانية وثمانين (١)

ولم يذكر الرواة لهذه المعلقة سببا .

وقد بدأ لببید معلقته بالحديث عن الديار قائلا :

عَفَيْتِ الدِّيَارَ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا

بِمَعْنَى تَأَيَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا (٢)

ثم وصف الطبيعة والرعد والمطر والسحاب إلى أن يتحدث عن

"نوار" تلك التي يس من لقائها لبعده منازلها .

وينتقل بعدها إلى الناقة فيصفها ويشبها بالأتان الوحشية هرة ،

وأخرى بالقرة المدعورة ، ثم يفخر بنفسه ويصف شجاعته قائلا :

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بَأَنَّ نَسِي

وَصَالَ عَقْدَ حِبَائِلٍ جَذَامُهَا (٣)

(*) هو لببید بن ربیعۃ بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب . . . من هوازن ، أحد الشعراء الفرسان ، عمّر حتى أدرك الاسلام ، ومات سنة ٤٠ هـ .

(١) راجع / شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٠٥ .

(٢) عَفَيْتِ : درست . المحل : مكان الإقامة القصيرة . المقام : مكان

الإقامة الطويلة . مَعْنَى : موضع . تَأَيَّدَ : تَوَحَّشَ . الغول : ماء

معروف وقيل جبل . الرّجاء : جبال . أو هو جبل .

(٣) الحِبَائِلُ : جمع حباله وهي مستعمارة للمهد . الجَذَامُ : صيغة

مبالغة من الجذم وهو القطع .

تَرَكَ أَكْبَدَ إِذَا لَمْ أَرْضَهُمَا

أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَمَامِهَا (١)

وذكر كثيرا من فضائله ومكرماته . . . وينهى المعلقة بالفخر القبلي الذي استغرق منه أربعة عشر بيتا يقول في آخرها :

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قَسَمَتْ فِي مَعْشَرٍ

أَوْ فِي بَأْغِظِ حِطْنًا قَسَامُهَا

فَهُمُ السَّعَاةُ إِذَا الْعِشِيرَةُ أَفْظَمَتْ

وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا (٢)

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهَا

وَالْمُرَمَّلَاتُ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا (٣)

وَهُمُ الْعِشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ

أَوْ أَنْ يَلُومَ مَعَ الْعِدَا لَوَامُهَا (٤)

ويلاحظ على هذه المعلقة :

* أنها تتميز بقوة النسخ ، وبداعة الألفاظ وغرايتها حتى إنك

لا تكاد تعثر فيها على بيت واحد تفهمه دون الرجوع إلى معاجم اللغة .

(١) الإجماع : الموت .

(٢) أَفْظَمَتْ : أي وقعت بها مصيبة عظيمة .

(٣) المرملات : اللواتي لأزواد لهن .

(٤) أي هم العشيرة التي لا يقدر حاسد أن يبطنها الناس عنهم بسوء قول فيهم ، ولا يقدر لائم على لومهم لأنهم كرماء .

- * ومن هنا تُعدّ وثيقة تاريخية تدل على صدق الأدب الجاهلي .
- * غنى لبيد بوصف آثار الديار وأطال الوصف ونوع في التشبيه .
- * تحدث عن المرأة إلا أنه لم يتها لكه وذكر أنه يائس من لقائهما
- بل إنه أمر نفسه بقطع حبيلها بعد تعذر وصلها .
- * وإذا كان طرفه قد وصف الناقة في معلقته ناعنا لكل أجزائها
- فإن لبيد قد تناول سرعتها فحسب .

٢ - المجموعة الثانية : المفضليات : نسبة إلى جامعها وهو "المفضل الضبي" المتوفى بين (١٦٤هـ و ١٧٠هـ) .
وهي مائة وست وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ، وهذه القصائد موزعة على سبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون جاهليا ، وبينهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلزة وعلقمة بن عبدة وغيرهم (١)
يقول الدكتور شوقي ضيف :

"ولو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثقة لأمكن وصف تقاليد و صفا دقيقا ، فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ، ودارت مع الأيام والأحداث وعلاقات القبائل بعضها ببعض وملوك الحيرة والغساسنة وانطبع في كثير منها البيئة الجغرافية .
وقد جاع فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعاجم اللغوية ... " (٢)

- (١) تاريخ الأدب العرب / كارل بروكبان ١٦٧/١ ، والعصر الجاهلي لشوقي ضيف ١٧٧ .
(٢) العصر الجاهلي ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

وقد لقيت المفضليات اهتماما كبيرا من العلماء والأدباء والباحثين في شتى العصور قطيعة أكثر من طبعة بشرح، وبدون شرح (١).

٣ - المجموعة الثالثة • الأصمعيات • نسبة إلى جامعها وهو الأصمعي الأديب اللغوي المتوفى فيما بين (٢١٢هـ - ٢١٧هـ) وتشتمل على اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعرا منهم الجاهلي والإسلامي والمخضرم • وقد لوحظ أنه ميز "خفافيسن ندية" من بني سليم بأن اختار له أربع أصمعيات متفردا بذلك بين سائر الشعراء •

وهناك التقاء بين الأصمعيات والمفضليات في تسع عشرة قصيدة • مما جعل بعض الباحثين يقول إن مجموعة المفضليات ليست كلها من اختيار المفضل الضبي • وإنما اشترك معه الأصمعي ••

ويغلب على كثير من الأصمعيات قصر القطع المختارة • وربما كسبان الأصمعي يبغي من وراء اختياره "وجهة لحنية" • فلو أن الأصمعيات تتجلى مزاج الأصمعي الذي يرجح في نظره الناحية اللغوية والنحوية في كسبان أثر شعري • على الناحية الأدبية •

ولعل هذا السبب فيما يقال عن الأصمعيات من أنها لم تلق مبالاة لقيته المفضليات من الانتشار والقبول (٢).

(١) في الأدب الجاهلي د / علي الجفدي ص ١٦٠ •
(٢) راجع / المراجع المذكورة سابقا • وتاريخ الأدب العربي بلاشير ص

٤ - المجموعة الرابعة : جمهرة أشعار العرب المنسوبة إلى
"أبي زيد بن محمد بن الخطاب القرشي" والذي يُظن أنه كان يعيش في
أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع .
وتضم هذه المجموعة المسماة بـ "جمهرة أشعار العرب" تسعاً
وأربعين قصيدة موزعة على سبعة أقسام ، في كل قسم سبع قصائد .
وهذه الأقسام تحمل العناوين التالية :
المعلقات ، المجهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي
المشويات ، الملحقات .
والقسم الأخير يشتمل على قصائد لشعراء أمويين ، وتغلب في
الأقسام الأخرى قصائد الشعراء الجاهليين ، وشعره الأنصار ، وشعراء
مخضرمين . . . (١)

٥ - مختارات ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ
وقد جمعها هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة المعروف بالشجري
نسبة إلى "شجرة" وهي من أعمال المدينة المنورة ، أو إلى بيت الشجري
من قبل أمه لأنه كان في بيته شجرة ، وليس في البلد غيرها (٢)
وقد اشتملت على ستين قصيدة ومقطوعة جعلها ابن الشجري
ثلاثة أقسام ، القسم الأولان يشتملان على سبع وثلاثين قصيدة لشعراء
جاهليين ، والقسم الثالث خاص بشعر الحطيئة وأخباره .

(١) راجع / تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ١ / ٧٥ .
(٢) مختارات شعراء العرب لابن الشجري / تحقيق د / نعمان أمين طه
ص ٧ .

وقد حققها وشرحها الدكتور / نعمان أمين طه وطبعت بالقاهرة
سنة ١٩٧٩م .

٦ - دواوين الحماسة

وهي عدة حماسات منها :

١ - حماسة أبي تمام الشاعر المعروف المتوفى سنة ٢٣١هـ وقد
طبعت عدة طبعات وشرحها التبريزي ، كما شرحها المرزوقي .

٢ - حماسة البحتري الشاعر المعروف المتوفى ٢٨٤هـ وهي
قطع قصير قد تصل إلى بيت واحد (١)

٣ - حماسة الخالدين للأخوين أبي عثمان وأبي بكر الخالديين
ت ٣٥٠هـ ٣٨٠هـ .

٤ - حماسة ابن الشجري لابن الشجري صاحب المختارات السابقة .
٥ - الحماسة البصرية . لصدر الدين علي بن الفرج البصري
(القرن الخامس الهجري) وقد حققت بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
تحقيقاً جيداً .

دواوين القبائل :

واهتم العلماء بجمع شعر القبائل في دواوينه ، إلا أنه لم يصلنا منها
سوى (شعر الهلاليين) ، وقد ذكر الأمدى في كتابه المؤلف بالمختلِف عددًا
من هذه الدواوين ، حيثما يسميها "أشعار بني فلان" ، وآخر يسميها
"كتاب" .

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي / علي الجندى ، والمصر الجاهلي لشوقي
ضيف .

فيقول مثلا عن الحجاج بن حكيم : "وله في كتاب بنى سليمان
أشعار حسان" (١)

دواوين الافراد :

ومن أهم وأشهر هذه الدواوين :

ديوان امرئ القيس ، وديوان النابغة ، وديوان طرفة ، وديوان
عنتر ، وديوان لبيد ، وديوان الخنساء وغيرها كثير وقد حقق معظم
الدواوين التي عثر عليها مخطوطة أو جمعت فيما بعد من خلال المصادر
الأصلية الموثقة .

وهناك كتب أخرى تضم شعرا كثيرا للجاهليين ومن هذه الكتب
الأغاني للأصفهاني ، النقااض لأبي عبيدة ، العقد الفريد لابن عبد ربه
طبقات الشعراء لابن سلام ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، الخ .

(١) المؤلف والمختلف للآمدى ص ١٠٣ :

الفصل الثالث :

نظرة الإتيال في الشعر الجاهلي

نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي (١)

قال صاحب القاموس : (٢)

انتحله وتنحله : ادعاه لنفسه وهو لغيره . ونحله القول - كمنعه - : نسبه
إليه .
وعلى ذلك :
فالانتحال : ادعاء الشيء للنفس وهو في الواقع للغير . والنحل : النسبة
إلى الغير .

أولا : الانتحال ووضع الشعر عند القدماء .

أ (في الجاهلية :

لم يكن الانتحال موجودا عند الجاهليين إذ " لم يكن من سبب فسي
جاهلية العرب يبعثهم على وضع الشعر ونحله غير قائله وإرساله فسي
الرواية على هذا الوجه ، لأن شعراءهم متوافرون ، ولأنهم لا يطلبون
بالشعر إلا المحامد والمعاير ، وقصارى ما يكون من ذلك أن يتزيد شاعرهم
في المعنى ويكذب فيه إذا حاول غرضا أو أراغ معنى مما تلك سبيله
وهذا التزيد هو الذى يسميه الرواة " أكاذيب الشعراء " أما أن يكون في
عرب الجاهلية من يصنع الشعر وينحله غيره على نحو ما كان في الإسلام

(١) رجعنا في هذا الفصل إلى : طبقات الشعراء لابن سلام ، وتاريخ
آداب العرب للرافعي ، د / ناصر الدين الأسد ، والعصر الجاهلي
د / شوقي ضيف ، في الشعر الجاهلي د / علي الجندى ، ونظرية
الانتحال د / السلوت ، ومن الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي
د / سعد ظلام ، في آداب الجاهلي طه حسين .

(٢) القاموس : نحل .

فذلك ما لا تعلمه ولا نظنه كان ألبتة " (١)

ب (في الإسلام :

وقد بدأ النحل والوضع في الإسلام ، إذ انشغل المسلمون بالفتوحات
عن الشعر حينئذ من الزم ، فلما راجعوا روايته بعد ذلك وقد ذهب أكثره
بذهاب روايته صنعت القبائل الأشعار ، يقول ابن سلام في ذلك (٢) :
" فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعضهم
العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم
وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن
شعرائهم ، ثم كان الرواة بعد فزادوا في الأشعار ، وليس يشكل على أهل
العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون .
ولما غلب بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو
الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال " .
وأول القبائل التي فعلت ذلك " قريش " فقد وضعت شعرا على السنة
شعرائها ، ولا سيما " حسان بن ثابت " .

ابن سلام الجمحي وقضية الانتحال

يعد محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ من أوائل من
تعرضوا لهذه القضية ، وعرضها في كتابه " طبقات الشعراء " في عدة مواطن

(١) تاريخ آداب العرب ١ / ٣٦٥ للرافعي

(٢) طبقات ابن سلام

فقد نظر في الشعر الوارد على لسان ابن اسحاق في سيرة ابن هشام فكان قوله : (١)

" وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار ، وكان من علماء الناس بالسير ، فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول :

لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحمله .

ولم يكن ذلك عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال . ثم جاوز ذلك إلى عباد وشود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر ، إنما هو كلام مهشود بقواف

أفلا يرجع إلى نفسه فيقول :

من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين والله يقول : " وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ قَمًا أَبَى " ويقول " وَكَانَ ثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ " ؟ "

ويرى ابن سلام أن الشعر الجاهلي قد ضاع منه الكثير ، وزيد عليه وضعا وانتحالا ، وقد ورد ضياع الشعر ونقصه إلى انشغال العرب بالفتوحات - كما سبق - .

وأما الزيادة فقد ردها إلى عوامل :

١ - الشعر الذي أدخل على العلماء غفلة منهم ، أو جهلا بوضع وانتحاله ، كذلك الشعر الذي يرويه محمد بن اسحاق

منسوبا إلى عاد وشمود وغيرهم .

٢ - اختلاط الأمر على بعض الرواة ، فربما رويوا شعرا للشاعر وهو ليس له ، وقد مثل ابن سلام لذلك بأثلة منها بيت النابغة المشهور :
ولست بمستبق أخا لا تلمسه .
على شعث أئى الرجال المهذب
فبنو سعد بن زيد مناه يدعونه لرجال منهم .

٣ - محاولة بعض العشائر الاستكثار والتزيد من الأشعار حتى يضيفوا إلى أمجادهم ومفاخرهم شرفا ، وقد ذكرنا كلامه في ذلك .

٤ - كذب الرواة وتخليطهم رغبة في الكسب ، وطعما في المال .
إذا كان الرواة يحفظون من العطاء والنوال بما لم يحفظ به الشعراء .
ولكن ابن سلام ينبه بعد ذلك على أن الوضع لم يكن بهذه الكثيرة ولم يفت العلماء النقاد ذوى الخبرة أن يتتبعوا هذه الأشعار ، ويكشفوا صحيحها من زائفها ، ويضعوا آيد بهم على المنحول والموثوق . يقول :
" وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع البولدون وإنما عُد بهم أن يقول الرجل من أهل يادية من ولد الشعراء أو الرجـل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال " .

وبذلك يمكن القول :

- ١ - أن ابن سلام هو أول من تحدث عن هذه النظرية باستفاضة فكانت أصلا تنبه إليه المحدثون من المستشرقين والعرب فتريدوا فسي القضية وحملوا النصوص أكثر مما تحتل .
- ٢ - أن هناك شعرا جاهليا موثوق به ، وهناك المنتحل السدى عرفه العلماء الثقات فنبهوا عليه .

٣ — ليس كل الرواة كذا بين ، متبعين هوى العصبية يميلون معها
حيث مالت، كلا فهذا مثلا : " حماد الرواية " كان من موالى بكر بن وائل
ولكن انتسابه في بني بكر لم يمنعه من رواية مطولة " عمرو بن كلثوم " مع
أن فيها تمجيذا لتغلب آل أعداء بني بكر في الجاهلية ، فحفظها
" حماد " ورواها على ما فيها من أساس يكرامة مواليه من بني بكر .

نظرية الانتحال عند المحدثين

تلقف المستشرقون خيوط القضية ، فنفخوا فيها من سمومهم ، وكتبوا فيها بنفوس حاقدة ، متورة ، وبذلك خلقوا حولها ظلالا من الشكوك وخطوطا من الخرافات والأكاذيب يمكن أن تروج الباطل ويستند إليها الواهمون^(١)

وكان من أوائل المستشرقين الذين كتبوا في هذه القضية " نولدكه " سنة ١٨٦٤م ، وتلاه " آلود " الذي نشر دواوين الشعراء المستنسخة الجاهليين ، فشك في الشعر الجاهلي كله ، وانتهى إلى أن عسدا قليلا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحتها ، إلا أن الشك ينتابها من ناحية أخرى وهي ترتيب الأبيات ، والفاظ القصيدة . وقد تابع " آلود " في هذا التشكيك عدد من المستشرقين .

مرجليوث

وكان أكبر المستشرقين الذين أثاروا القضية هو " مرجليوث " الذي كتب مقالا في مجلة الجمعية الآسيوية سنة ١٩٢٥م وجعل عنوانه " أصول الشعر العربي " وتتلخص آراؤه في نقاط :

١ - الشعر إما أن يصل عن طريق الرواية أو التدوين (أ) ثم يستبعد طريق الرواية لأن الناس لا يمكن أن يحفظوا قصائد طويلا ، ويتناقلونها عن طريق المشافهة ، اللهم إلا إذا كانت هناك حرفة مثل هذه احترفتها طائفة من الناس ، وهو ما لم يكن موجودا (ب) وحتى لو كان هناك رواية حافظون للشعر الجاهلي فإنه لزم عليهم أن ينسوا هذا الشعر بسبب موقف القرآن الكريم من الشعر وأزد رائه للشعراء .

(ج) ثم إنه لو كان هناك شعر جاهلي فلا بد أن تكون أهم موضوعاتـه (١) راجع : نظرية الانتحال للمساوي ص ٧٠ (يتصرف)

المفاجرات التي تبرر فيها العصبية القبلية ، والقرآن الكريم دعا إلى الوحدة ونهى تلك العصبية فكان على المسلمين حينئذ تسيان هذا الشعر إذعانا لأوامر الإسلام .

وبذلك يكون قد نفى وصول الشعر عن طريق الرواية .
إلا أن مستشرقاً آخر " ليال " رد عليه في مقدمته لديوان " عبيد بن الأبرص " ، مؤكداً أن رواية الشعر الجاهلي لم تنقطع ، بل استمرت حية نشطة من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، وهو عصر التدوين .

وهو بالطبع يستبعد معرفة العرب للكتابة مستدلاً بآيات من القرآن الكريم ، ولكنه استدلال في غير موضعه . . . (راجع ما كتبناه عن الكتابة والتدوين فيما سبق) .

٢ - اتخذ " مرجليوث " من الرواة المتهمين ، ومن طعن الرواة بعضهم في بعض ذريعة لما زعمه من أن الوضع في هذا الشعر كان مستمراً .
وقد رد عليه " ليال " في مقدمته للمفضليات بأنه " لو فرضنا التسليم بذلك فإن من وضعوا هذا الشعر كانوا يحاكون نماذج سابقة وتقاليد أدبية موروثة ، مما يدل على هذا الأصل .

٣ - يقول : " إن الشعر الجاهلي لا يمثل الوثنية ولا النصرانية وإنما هو مصبوغ بصيغة إسلامية .
ولكن : يترك عليه بما جاء في كتاب الأصنام لابن الكلبي من حديث عن الأصنام والأوثان . . .

٤ - ويرى : أن هذا الشعر لا يمثل لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية ، كما أنه لا يمثل اختلاف لغة عدنان شمالا عن لغة حمير جنوبا ، وإنما يمثل لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم . ويرد عليه : بأن اللهجات قد توحدت في لهجة قريش منذ أوائـل العصر الجاهلي ، وذلك بحكم مركز قريش الديني والاقتصادي وقد تواضع العرب - على اختلاف أماكنهم - على أن تكون هذه اللغة لغتهم التي ينشدون بها أشعارهم ويستعملونها في أسواقهم ومجتمعاتهم .

وهكذا دحضت آراؤه وأفتراءاته .

* العرب المعاصرون :

١ - الراجعي :

في سنة ١٩١١ ألف المرحوم " مصطفى صادق الرافعي " كتابه " تاريخ آداب العرب " وتحدث فيه عن هذه القضية ، إذ خص الرواية والرواة بباب كامل من الجزء الأول تبقت صفحاته على مائة وخمسين ، حشد فيه من المادة ما لم يجتمع مثله من قبله ولا من بعده في كتاب واحد - غير أنه لم يتجاوز في هذا العرض سرد ما لاحظته القداماء . (١)

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٧٧ (يتصرف) .

حُكْمُ حُسَيْنٍ وَقَضِيَّةُ الْإِسْتِغَالِ

٢ - طه حسين :

وما أن استقر الموضوع بين يدي الدكتور طه حسين ، حتى درسه دراسة جديدة في كتابه " في الشعر الجاهلي " الذي ألفه سنة ١٩٢٦ م ولكنه أثار حفيظة المسلمين به : (١)

أ (إهانتته الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن إبراهيم وإسماعيل .

ب (طعنه في القراءات السبع وعلاقتها بالوحي .

ج (طعن على النبي - صلى الله عليه وسلم - طعنا فاحشا من حيث نسبه . وقد صودر الكتاب ثم طبع مرة أخرى بعنوان (في الأدب الجاهلي) بعد حذف فقرات منه كانت هي السبب الجوهرى في إصدارته ، وكان في معظم آرائه متابعاً للمستشرقين الذين تجرأوا على الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام .

وتصدى للرد عليه علماء أجلاء من الغيورين على كتاب الله ، ولغته والتراث العربى وكان من هذه الردوه .

* نقد كتاب الشعر الجاهلي لمحمد فريد وجدى .

* الشهاب الراصد لمحمد لطفى جمعة .

* النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي لمحمد احمد الغمراوى .

(١) راجع طه حسين حياته ونكره في ميزان الاسلام / أنور الجندى ص ١٧٨ وما بعدها وراجع / قرار النيابة في كتاب الشعر الجاهلي وثيقة رادة في مجلة فصول العددان ٢٤١ ، المجلد التاسع أكتوبر ١٩٩٠ م .

- * محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب
في الشعر الجاهلي لمحمد الخضري .
- * نقض كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد الخضر حسين .
- * نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي للدكتور عبد الحميد المسلول .

وقد انتهى طه حسين في كتابه إلى " أن الكثرة المطلقة مما نسميه
أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء " ، وإنما هي منحولة بعد
ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم
أكثر مما تمثل حياة الجاهليين . ولا أكاد أشك في أن ما بقى من الأدب
الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ولا ينبغي
الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر
الجاهلي . (١)

وهو متأثر - في ذلك - برأي "مرجليوث" السابق ذكره . غير أن طه
حسين يبقى على بقية قليلة من هذا الأدب الجاهلي ، إلا أنه يعود
فيقول إن هذه البقية لا فائدة فيها ولا غناء لأنها لا تدل على حياة
الجاهليين .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٦٥ ط دار المعارف / الحادية عشرة .

* د واقع شك طه حسين في الشعر الجاهلي :

١ - يرى طه حسين أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب الدينية والعقلية والسياسية والاجتماعية .
يقول : (١)

" أنا لا أنكر الحياة الجاهلية ، وإنما أنكر أن يمثلها هذا الأدب الذي يسمونه الأدب الجاهلي فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلسست أسلك إليها طريق امرئ القيس والتأبغة والأعشى وزهير وقس بن ساعدة وإكثم بن صيفي لأنني لا أتق بما ينسب إليهم ، وإنما أسلك إليها طريقاً أخرى ، وأدرسها في نص لا سبيل إلى الشك في صحته ، أدرسها فسي القرآن فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي . . .
ثم يأخذ في سرد د واقع شكه في هذا الشعر .

أ (الحياة الدينيّة :

فيري أن هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوى والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والسيطرة على الحياة العملية . والا فأين تجد شيئاً من هذا في شعر امرئ القيس أو طرفة أو عنتره !
أو ليس عجيباً أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين !!

وأما القرآن فيمثل لنا شيئاً آخر ، يمثل لنا حياة دينية قوية تدعو

أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل . (١)

ب (الحياة العقلية :

وكما أنه لا يمثل الحياة الدينية للجاهليين كذلك لا يمثل الحياة العقلية لهم :

" ولكن القرآن الكريم لا يمثل الحياة الدينية وحدها ، وإنما يمثل شيئا آخر غيرها لا نجده في هذا الشعر الجاهلي ، يمثل حياة عقلية قوية ، يمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن في جهادها حفا عظيما ١٠٠ الخ (٢)

ج (الحياة السياسية :

" والقرآن لا يمثل الأمة العربية متدينة مستتيرة فحسب ، بل هو يعطينا منها صورة أخرى يدعش لها الذين تعودوا أن يعتمدوا على هذا الشعر الجاهلي في در س الحياة العربية قبل الإسلام فهم يعتقدون أن العرب قبل الإسلام كانوا أمة معتزة تعيش في صحرائها لا تعرف العالم الخارجي ولا يعرفها العالم الخارجي ٠٠٠٠ وأن الشعر الجاهلي لم يتأثر بهذه المؤثرات الخارجية التي أثرت في الشعر الإسلامي ، لم يتأثر بحضارة الفرس والروم ٠٠ وأني له ذلك ١١ لقد كان يقال في صحراء لا صلة بينها وبين الأمم المتحضرة .

كلا ! القرآن يحدثنا بشئ غير هذا ، القرآن يحدثنا بأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم ٠٠ أليس في القرآن سورة تسمى " سورة الروم " ٠٠ يصف فيها القرآن عدايتهم بسياسة الفرس والروم ، وهو يصف

(١) نفسه ص ٧٢ و ٧٣

(٢) نفسه ٧٣

اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في السورة المعروفة : " لا يسلأ قريش . . . " (١)

د (الحياة الاقتصادية :

ويرى أن القرآن الكريم صوّر حياة العرب الاقتصادية حين " قسم العرب إلى فريقين : فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة المرففين في الرياس وفريق الفقراء المعدمين أو الذين ليس لهم من الثروة ما يمكنهم من أن يقاوموا هؤلاء المرابين أو يستغنوا عنهم . وقد وقف الإسلام فسي صراحة وحزم وقوة إلى جانب هؤلاء الفقراء المستضعفين " . . . وذلك بتحريم الربا ، وترغيب الأغنياء بالتصدق على الفقراء ، كما أنه شرع الزكاة لسد حاجة الفقراء . . . ثم يتساءل : التمسلى هذا أو شيئاً كهذا فسي الأدب الجاهلي ، وحدّثني أين تجد في هذا الأدب شعره ونشـره ما يصور لك تضالاً ما بين الأغنياء والفقراء " (٢)

ثم يذكر " أن الشعر الجاهلي يمثل العرب أجوداً كراماً مهينين للأموال مسرفين في ازدهارها ، ولكن في القرآن الكريم إلحاحاً في ذم البخل ، وإلحاحاً في ذم الطمع ، فقد كان البخل والطمع إذاً من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية " (٣)

هـ (الحياة الاجتماعية :

كما يرى أن الشعر الجاهلي " لا يعنى إلا بحياة الصحراء والبادية وهو لا يعنى بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلاً تاماً فإذا عرض لحياة السدر

(١) نفسه ٧٤، ٧٥

(٢) في الأدب الجاهلي ٧٧ - ٧٩

(٣) في الأدب الجاهلي ٧٧ - ٧٩

فهو يمسها مسًّا رقيقاً ولا يتغلغل في أعماقها ، وما هكذا تعرف شعير الإسلام . ومن عجيب الأمر أن لا تكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل . أما القرآن فيمن على العرب بأن الله قد سخر لهم البحر ، وبأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة مختلفة أذكر منها الملاحه ، فالقرآن يذكر الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام ، وأذكر منها الصيد . . . الخ (١)

وينتهي الى قوله " أرأيت أن التماس الحياة العربية في الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الأدب العقيم الذي يسمونه الأدب الجاهلي ! " (٢)

٢ - اختلاف اللغة :

ويرى أن الادب الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية لأن لغة قحطان تخالف لغة عدنان ولكننا حين نقرأ الشعر المنسوب إلى شعراء هذه القحطانية في الجاهلية لا نجد فرقا بينه وبين شعر العدنانية بل لا نجد فرقا بينه وبين لغة القرآن . . . ثم ينتهي إلى القول بأن الشعر المضاف إلى القحطانية قبل الإسلام ليس من القحطانية في شيء لم يقله شعراؤها وإنما حمل عليهم بعد الإسلام .

٣ - اختلاف اللهجات :

ويبدو أن نثر شعر قحطان انتقل إلى شعر عدنان ، فوجد أن اختلاف اللهجات بين العدنانيين أنفسهم لم يظهر في هذا الشعر

(١) في الأدب الجاهلي ٧٧ - ٧٩

(٢) نفسه ص ٨٠

المنسوب إليهم فمن المؤكد أن العدنانيين وإن كانوا ينطقون بلغة واحدة إلا أن لهجاتهم كانت متخالفة متغايرة فأين هذا الاختلاف في ذلك الشعر ؟ إن هذا يرجح أن هذا الشعر لم يقل في الجاهلية وإنما قيل بعد الإسلام .

٤ — الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث .
يقول في ذلك :

"إنا نلاحظ أن العلماء قد اتخذوا هذا الشعر الجاهلي مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن الكريم والحديث ونحوهما وبذا هيهمنا الكلامية . ومن الغريب أنهم لا يكادون يجدون في ذلك مشقة ولا عسرا ، حتى إنك لتحسن أن هذا الشعر الجاهلي إنما قد على قَدَّ القرآن والحديث كما يُقَدَّ الثوب على قد لا يسه لا يزيد ولا ينقص عما أراد طولاً وسعة . إذن فنحن نجهر بأن هذا ليس من طبيعة الأشياء ، وأن هذه الدقة في الموازنة بين القرآن والحديث والشعر الجاهلي لا ينبغي أن تحمل على الاطمئنان إلا الذين رزقوا حظاً من السذاجة لم يتح لنا مثله . إنما يجب أن تحملنا هذه الدقة في الموازنة على الشك والحيرة ."

* أسباب النحل في رأى الدكتور / طه حسين :

١ — السياسة :

ويعنى بها العصبية بين المهاجرين والأنصار أى بين قريش والأنصار وذلك أن كل فئة كانت تعتز بماضيها من خلال تراثها الشعري فكانت في حاجة ملحة إلى هذا الشعر ، فاستكثرت منه ، وقالت منه القصائد ونحلتها شعراً ها القديماً .

٢ - الدين :

ويرى أن " العواطف والمنافع الدينية لم تكن بأقل من العواطف والمنافع السياسية أثراً في تكلف الشعر وانتحاله وإضافته إلى الجاهليين " وذلك لأهداف منها :

أ (هذا النحل في بعض أطواره قصد به إلى إثبات صحة النبوة وصدق النبي ، ومن هذا النوع الشعر الذي قيل في الجاهلية مبهماً لبعثة النبي . . .

ب (هناك شعر نسب إلى عرب الجن كان الخرض منه إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء .

ج (" ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش " .

د (ما يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوباً في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود وغيرهم .

٣ - القصص :

يقول " وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين - وإذن فقد كان القصص أيام بني أمية وبني العباس في حاجة إلى مقادير لا حد لها من الشعر يزينون بها قصصهم . . . وهم قد وجدوا من هذا الشعر ما كانوا يشتبهون . . . وكان هؤلاء القصص يستمعون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها ، وآخرين ينقلون لهم القصائد وينسقونها " .

٤ - الشعوبية :

وهي الخصومة بين العرب والموالي في " هؤلاء الشعوبية قد تحلوا
أخباراً وأشعاراً وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين . . . وكانت
الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغطس منهم
وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع
لأقدارهم "

٥ - الرواة :

وذلك أنهم في رأيهم " بين اثنتين : إما أن يكونوا من العرب ، فهم
متأثرون بما كان يتأثر به العرب ، وإما أن يكونوا من الموالى ، فهم
متأثرون بما كان يتأثر به الموالى من تلك الأسباب العامة . . . ويقول :
" وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شك في أنهم كانوا يتخذون
التحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب . وكانوا يفعلون ذلك في
شيء من السخرية والعبث تريد بهم هؤلاء الأعراب الذين كان يرتحل
إليهم في البادية رواة الأمصار يسألونهم عن الشعراء والغريب . . . "

الرد على طه حسين

سبق أن ذكرنا بعض الكتب التي ألفت للرد على طه حسين ، وقد
فندت آراءه ونقضت أدلته ، ودحضت حججه .
أولاً : نقد منهج الكتاب :

وقد تناول هؤلاء النقاد منهج الكتاب وطريقته فقالوا :

- ١ - أن طه حسين جافى الطريقة العلمية ، ولم يؤسس نظريته بالثبوت أولاً .
من الحقائق قبل أن يدخل في دور الغرض ، وأنه يبدأ بالغرض ثم يبنى

عليه فرضا آخر ٥ ثم ينتهي بالقطع والجزم والثبوت ٥

٢ — إن منهج ديكارت لم يكن منهج شك للشك في ذاته ٥ وإنما يتخذ الشك وسيلة لليقين ٥

٣ — أمر آخر يتصل بمحاكاة الطريقة العلمية وهو إيراد التصوص على وجه يختلف عما كانت عليه في حقيقتها ٥ والاستدلال بها على ما لا تدل عليه في أصلها لو أوردت كاملة ٥

فهو مثلا يستدل بقول ابن سلام عن خلف " كان أفرس الناس بببيت شعر " فهو يوجه كلام ابن سلام هذا على أن " خَلَفًا " كان حاذقا ماهرا قادرا على نحل الشعر ووضعه ولكن ابن سلام لم يُرِدْ هذا بل أراد نقيضه ونسب ابن سلام بكامله هو " أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بببيت شعر ٥ وأصدق لسانا ٥ كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه " وأي ترثيق لخلف أثق من هذا ٥٥٥ !

ثانيا : نقد الحجج والأدلة :

١ - قوله إن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية لعرب الجاهلية رد عليه السيد " محمد الخضر حسين " وبين أن هذه الشبهة مما استأبه المؤلف من مقال مرجليوث ٠٠ ثم رد على ادعائه هذا قائلا : " خلاصة الجواب أن معظم شعر العرب كان في الفخر والحماة وأن المسلمين صرفوا عنايتهم عن رواية الشعر الذي يمثل ديننا غير الإسلام ولا سيما دين اللات والعزى ، وعلى الرغم من هذا كله وصلت إلينا بقية من الشعر الذي يحمل شيئا من الروح الديني ، تجده في كتاب الأصنام لابن الكلبي وغيره " .

كبارد عليه صاحب الشهاب الراصد بقوله " إنه لم يتقدم إلينا بدليل ولم يستقرى دواوين الشعر الجاهلي " (١)

٢ - وأما أنه لا يمثل الحياة العقلية للعرب في الجاهلية فهو أمر مردود ، فالشعر الجاهلي يشهد لقائليه بالذكا وقوة البادرة ومثانة النادرة ٠٠

وفيه معان سامية وحكمة صادقة . ومن يقرؤه خالي الذهن من كل ما فيه يقضى العجب من ذكا منشئيه وسعة خيالهم ودقة أذهانهم ٠٠ والمؤلف ييخص قيمة الشعر الجاهلي ويريد أن يجعله مثال الغباوة والجهل . يقول جورجى زيدان : وقد يتبادر إلى الذهن أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب . ولكن يظهر مما وصل إلينا من أخبارهم أنهم كانوا كبار العقول ، أهل ذكا .

(١) راجع مصادر الشعر الجاهلي ٤١٢ و ٤١٣

ونهاية ، واختبار وحكمة ، وأكثر معارفهم من ثمار قرائتهم . . . " (١)

٣ — وأما أنه لا يمثل حياة العرب الاقتصادية وقصر عن ذلك تقصيراً شديداً في حين صورها القرآن فقد رد عليه " بأنه استشهد على الحياة الاقتصادية الخارجية بآية واحدة ليس فيها إلا إشارة موجزة ، وأن في الشعر الجاهلي تفصيلاً لهذه الإشارة . . . "

ولأن الدكتور طه حسين قرأ القليل المكتوب عن ابن الزبير في طبقات ابن سلام لوجد فيه ما لا يقل في دلالة الاقتصادية عن آية لا يلاف قريش (٢) كما أنه يجعل القرآن كلام الله موضع موازنة مع كلام البشر . . . وهذا مردود من البداية فالقرآن كتاب دين ، يعالج النقائص ، ويصلح العيوب ويغير من عادات القوم وطبائعهم لأنه كتاب إصلاح وهداية . . . وليس يطلب من الشعر ذلك فهو تعبير عن خلجات النفس ، ونوازغ القلب ، فما شأنه بالربا وغيره ١١

وكما لم يلم المؤلف بمواطن الأدب الجاهلي التي تدل على الحيثية الاقتصادية الخارجية ، كذلك لم يلم بمواطن الأدب الجاهلي التي تدل على الحياة الاقتصادية الداخلية .

٤ — وأما أن الشعر الجاهلي يمثل العرب أمة معترلة ، لا تعترف بالعالم الخارجي ولا يعرفها العالم الخارجي فهو مردود أيضاً .

(١) نظرية الانتحال / الدكتور المسفوت ص ١٢٣ و ١٢٤ تاريخ آداب

اللغة العربية / جورجى زيدان ٢٩/١

(٢) راجع مصادر الشعر الجاهلي ٤١٤ و ٤١٥ ونظرية الانتحال ص ١٢٧ يتصرف .

أليس في هذا الشعر ما يحدث بأن من الشعراء - وهم زعماء القبائل - من كانوا يسافرون إلى الشام وإلى اليمن * بل إلى فارس وإلى القسطنطينية تجد هذا في شعر عمرو بن كلثوم وأمرئ القيس وأمية بن أبي الصلت والأعشى ميمون بن قيس !!
أو لم يقرأوا أن أبا الصلت أو أمية بن أبي الصلت رحل إلى سيف بن ذي يزن ليهنئته بالانتصار على الحبشة وأنشد بين يديه قصيدته السبي يقول فيها :
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * في رأس غمدان داراً منك محلاً
بل وقرأوا أن الأعشى كان يغد على ملوك فارس * ولذلك كثرت الفارسية في شعره . (١)

٥ - وانكر المؤلف الشعر الجاهلي وذهب إلى تحله لأنه لا يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه مستدلاً بأن حقيقة لغة عدنان تخالف لغة قحطان إلا أن هذا الاختلاف لم يظهر في ذلك الشعر ... وهذا باطل .
لأن القحطانية والعدنانية في الأصل لغة واحدة * ثم حدث من تفرق القبائل واختلاف القلاع واختلاط السكان بألوان وأنماط من الناس والأجناس أن تفرقت الألسنة تفرقاً قريباً أو بعيداً يتمثل في لهجات أو لغات (٢) ...

(١) نظرية الانتحال ص ١٢٧

(٢) نفسه ومصادر الشعر الجاهلي ٤١٩ و ٤٢٠

وها نحن الآن - كعرب - تختلف لهجة كل قطر عن سائر الأقطار ومصح ذلك حين نخطب أو نكتب أو نشعر باللغة الفصحى فإنها تكون لغة مشتركة بين سائر العرب .
فهناك لغة أدبية يصطلح عليها كل من ينتهي إلى العربية ، تلك اللغة كانت بلهجة قریش التي عمت في سائر أقطار الجزيرة نظرا لمركز قریش الديني والتجاري والسياسي .

نقد أسباب التحصيل (١)

١ - السياسة ونحل الشعر :

أجمع النقاد على أن الدكتور طه حسين لم يورد شيئا من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة إلى نخله ، وكان عليه أن يأتي بمثل أو مثلين لهذا الشعر . . . لكنه لم يفعل .

٢ - الدين ونحل الشعر :

يقول " محمد الخضر حسين " : " ينكر المؤلف كل ما يروى من الشعر والأخبار الممهدة للبعثة النبوية ، وإنكارها على هذا الوجه إنما تسعده من ربط قلبه على نفس النبوة ، إذ ليس من المحتل عنه أن يقال فيها شعر أو يرد عنها خير قبل أن يدعيها صاحبها ، أما الذين يعتقدون بأن نبوة أفضل الخلق حق فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتصل بها ، لكن عليهم أن يفحصوا ذلك بدقة ، وكذلك فعل علي بن الإسلام . . . " .

(١) راجع مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٢١ وما بعدها .

وقد رد النقاد على قوله إن المفسرين كانوا يؤلفون الأشعار لتفسير كلمات القرآن فذكروا لبعضهم تفسير شواهد الكشف - مثلاً - ٧٢٧ شاه - داء وليس هذا عدد كلمات القرآن، وأما الخطأ ففي ظنه أن هذه الشواهد كلها جاهلية حتى " بها لإثبات عربية القرآن ! أكثر هذه الشواهد لشعراء إسلاميين " وقليل منها ما هو للجاهليين أو مجهولين . كما أن الاستشهاد بها ليس لإثبات عربية القرآن ، وإنما لتوضيح معنى كلمة قد تبدو غريبة ليس غير .

٣ - القصص وتحل الشعر :

قال النقاد : إن طه حسين في هذا الموضع لم يأت بجديد ، " فقد نظن العلماء إلى ما في هذا الشعر من تكلف حيناً ، ومن سخف ولبساف حيناً آخر ، وقطنوا إلى أن بعض هذا الشعر يستحيل أن يكون قد صدر عن الذين ينسب إليهم " .

٤ - الشعبية وتحل الشعر :

لم يأت طه حسين بدليل على أن بعض الشعبية انتحل شعراً جاهلياً - ومن هنا سقط غرضه من أساسه .

٥ - الرواة وتحل الشعر :

رأى الدكتور أن الرواة طعن بعضهم في بعض ما يدل على كذبهم وضعف الثقة فيهم فوردون عليه بقولهم : " وإن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض ، فليس في الطعن حجة أو دليل

على صحة التهمة ، لان اتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة والمزاحمة على نيل الخطوة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والخيرة ، لهذا قال الأقدمون : " إن المعاصرة حجاب " حتى إن رواة ثقات كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية صاحبه ولكن المحققين ينزهونهم عن الكذب فلا يجوز إذا أن تأخذ بما يقوله الرواة بعضهم في بعض

كما أن العلماء فطنوا إلى الشعر الموضوع على ألسنة بعض الرواة ويصعب أن يغافلهم أحد هم فيضيف شعرا دون أن ينتبهوا له ويشيروا إليه

وهكذا دحضت آراء طه حسين في انتحال الشعر الجاهلي كما دحضت آراء متبوعه مرجليوث وبعد . فنحن لا ننكر أن هناك شعرا جاهليا موضوعا ، لكن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد قاموا بنخل الشعر نخلا حتى تثبتوا من صحته . . وعليه فما شكوا فيه لنا أن نشك فيه أما ما وثقوه ورواه أثباتهم وعلماءهم فعلينا أن نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للامتحان .

الفصل الرابع :
موضوعات الشعر الجاهلي

موضوعات الشعر الجاهلي

يرجع فضل تقسيم الشعر إلى موضوعات أو أغراض إلى " أبي تمام " وذلك في كتابه " الحماسة " حيث قسم فيه موضوعات الشعر إلى عشرة موضوعات هي :

الحماسة ، والمراثي ، والآدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، ومعهم المديح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء . وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض . وقد أغفل إغفالاً تاماً باب العتاب والاعتذار .

وأما " قدامة بن جعفر " فموضوعات الشعر عنده ستة هي : المديح والهجاء ، والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه . وقد جعلها " ابن رشيق " تسعة : موضوعات في كتابه " العمدة " وهي النسيب ، المديح ، الافتخار ، الرثاء ، الاقتضاء ، والاستنجاز ، العتاب الوعيد والإنذار ، الهجاء ، الاعتذار . ويقول " العسكري " : " وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : المديح ، والهجاء ، والوصف والتشبيه ، والمراثي ، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه " وهو تقسيم جيد إلا أنه نسي باب الحماسة أهم موضوع في الشعر الجاهلي .

١ - الوصف :

هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية

تحليلاً يصل بك إلى الأعماق " (١)

يقول ابن رشيقي : " والشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه " . (٢)

يصف الشاعر أحاسيسه عند فقد عزيز لديه فيكون الوصف رثاءً ، ويصف مشاعره تجاه إنسان يستحق الثناء فيكون الوصف مدحاً ، ويعجب بنفسه فيصفها فيكون الفخر ، ويعجب بامرأة فيصفها فيكون الغزل . . . الخ . ولكن ، حين يطلق الوصف غرضاً مستقلاً فإنه يراد به وصف الطبيعة صامتة وصائتة . .

وقد وصف الشعراء العرب ما أحاطت به معارفهم ، وأدركه عيانهم ومرت به تجاربهم ، ولا تعد وأوصافهم ما رأوه في باديتهم . . وقد برع بعضهم في وصف أشياء بعينها ، فكان من أشهر وصافي الخيال مثلاً : امرؤ القيس ، وأبو ذؤاد الإيادي ، والناطقة الجمدي ، وغيرهم .

يقول امرؤ القيس في وصف فرسه :

وقد أَغْتَدَى والطيرُ في وَكَنَاتِهَا . . . بِمَنْجَرٍ قَيْدَ الْوَيْدِ هَيْكَلُ (٣)
مَكْرَافٍ مَقْبَلِي مَدِيرٍ مَعْمَا . . . كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ (٤)
يَسِخٍ إِذَا مَا السَّايِحَاتُ عَلَى الْوَتَى . . . أَثَرْنَ الْغَبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ (٥)

(١) الوصف في العشر العربي / عبد العظيم قناوي ٤٢/١ ط الحلبي .

(٢) العبد ٢٢٦/٢

(٣) الوكنات : جميع وكنة وهي بيوت الطير ، المنجرد : الماضي في السمر فينجرد عن الخيل لسرعته ، أو المنجرد تسمير الشعر . الأوبد : الوحوش هيكَل : ضخم .

(٤) مكر : لا يسبق في الكر - مقر : لا يسبق في الفرار . الجلود : الحجر

(٥) مسح : تثير الجرى . أو هو كالسيح في الماء . الوتَى : الفتور والضعف . الكديد : الموضغ الغليظه المركل : الذي يركل بالأرجل مرة بعد أخرى .

- يَزَلُّ الْغَلَامُ الْخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ . . . ويلوى بأثواب العنيف المثقل (١)
 دَرِيرٌ كَخَذَرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَّسَرَهُ . . . تتابع كفيه بخيط موصول (٢)
 لَهُ أَبْطَلَا ظَلِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ . . . وإرخاء سرحان وتقريب تنقل (٣)
 ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ . . . يضاف فوق الأرض ليس بأعزل (٤)
 كَانَ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى . . . مَدَاكُ عُرُوسٍ أَوْ صَلَايَةِ حَنْظَلٍ (٥)
 كَانَ دَمَاءُ الْهَادِيَاتِ بِنَحْسَرِهِ . . . عصارة حنّاء بشيب مرجّس (٦)

- (١) يزل : يقع . الخف : الخفيف - الصهوات : جمع صهوة وهي ظهر الفرس ، يلوى : يرمى ويبعد ، بأثواب العنيف : ببذنه ، المثلث الثقيل .
 (٢) درير : مستدر في العدو . الخذروف : الخيالة التي يلعب بها الصبيان تسمع لها صوتا فهي سريعة المر . أمره : أحكم قتله . خيط موصول : لعب به حتى خف وأخلق ولكن فتقطع فهو أسرع لدورانه .
 (٣) أبطلا ظلي : خصره . إرخاء سرحان : جرى الذئب . التقريب : رفع اليدين معا ووضعها معا ، تنقل : ولد الثعلب .
 (٤) ضليع : قوى . ضاف : ذيل طويل ساينج - أعزل : أي ذنبه في ناحية .
 (٥) المتناث : ما على يمين القفا وشمالها - انتحى : اعتمد . مداك العروس : الحجر يسحق به الطيب والصلاية : مدق الطيب .
 (٦) الهاديات : السابقات المتقدّمات . . . يريد : أنه فرس يلحق الهاديات ، قيطعنها فتصيب دماؤها نحره .

ومن أطرف وأندر ما جاء من وصفهم قول " الخنساء " تصف سباقا بين
أبيها وأخيها :

- جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبِلَا وَهَمَّيَا يَتَعَاوَرَانِ مَلَأَتِ الْعَهْشُورَ (١)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ مَعَّيَا لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُدَّةَ بِالْعُدَّةِ (٢)
وَعَلَا هَذَا النَّاسُ أَيُّهُمْ قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي
بِرَزَّتْ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ وَالسُّدَّةُ وَبَضَى عَلَى غُلَّائِهِ يَجْجُرِي
أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُفْرِ
وَهمَا كَأُنْهَمَا وَقَدْ يَسْرُرَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَا عَلَى وَكْرٍ

٢ - الحماسة :

الحماسة : صدر : حمس بمعنى اشتد * والحماسة الشجاعة *
والحماسة في الشعر : التفتنى بالصفات التي تنبئ * عن القوة * وتدل على
الشجاعة والاستهانة بالصعب من الأمور * والمسير من المخاطر * وخوض
غمار الحروب * ودم الجبن والخور والفرار وأقرب معنى لها هو : إثارة
الحمية والشجاعة في النفس وفي نفوس الغير * *

ومن هذا اللون قول الخنساء تحرض قومها وتحبسهم لإدراك ثأر صخر :
أبلغ خفاقا وعوقا غير مقصورة عميمة سوف يبدو كل أسرار (٣)

(١) يتعاوران : يتبادلان * الملاءة : المراد بها هذا الغبار * العهشور

نوع من الجري *

(٢) نزت القلوب : اشتاقت لمعرفة النتيجة * لزت : من اللزم *

(٣) خفاف وعوق : أي أمرى القيس بن بهثة بن سليم بن منصور * غسير
مقصرة : أي رسالة غير مقصورة عن أحد منهم وإنما تأتيهم عامة * عميمة
عامة *

- والحرب قد ركب جرياء باقسرة . . . حَلَّتْ عَلَى طَبِيقٍ مِنْ ظَهْرِهَا عَارِيً^(١)
 شَدُّوا الْمَازَرَ حَتَّى يَسْتَدْفَ لَكُمْ . . . وَشَمَّرُوا أَيْهَا أَيَّامَ تَشْمَسُ سَارِ^(٢)
 وَابْكُوا فِتَى الْحَى وَافْتَدِ مِنْتُكُمْ . . . فِي يَوْمٍ نَائِمَةٍ نَائِمَةٍ وَأَنْتُمْ سَادِر
 إِلَى أَنْ تَقُولَ مُحَمَّسَةٌ وَمَثِيرَةٌ بَنَى سَلِيمٌ لِبَدْرِكُوا ثَارَهُمْ . . . وَبَغَسَلُوا عَارَهُمْ :
 لَا نَوْمَ حَتَّى تَعُودَ الْخَيْلُ عَابِسَةً . . . يَنْتَبِذَنَّ طَرَحًا بِمَهْرَاتٍ وَأَمْهَارِ^(٣)
 أَوْ تَحْفَزُوا حَفْزَةً وَالْمَوْتَ مَكْتَنَحٌ . . . عِنْدَ الْبُيُوتِ حَصِينًا وَابْنَ سَيَارِ^(٤)
 فَتَغْسَلُوا عَنْكُمْ عَارًا تَجَلَّلُكُمْ . . . غَسَلَ الْعَوَارِكُ حَيْثُ بَعْدَ إِطْهَارِ^(٥)

٣ - الفخر :

هو التمدح بالخصال الحميدة ، والخلال الشريفة ، والتفسيى
 بالأجاء ، ويكون عادة يادعاء أشياء للنفس ، أو للقبيلة ليست فى متناول
 الجميع بيسر وسهولة ، وهو بذلك يكون قريباً من المدح .

- (١) ركب جرياء : أى ركب فتنة جرياء عارية من دبرها ، وهذا كناية عن
 عن إيذاؤها للراكب . باقرة : شديدة وتغير : تفسد . حليست :
 نزلت . طبق : أى طبق من الأرض . عار : استكشف .
 (٢) يستدفع : يتجهياً لكم أمرهم . تشمار : مصدر من شمرت .
 (٣) تعود الخيل عابسة : تغزو القوم الذين قتلوا حضرا . ينتبذن طرَحاً
 بمهرات وأمهات : تترك أولادها .
 (٤) تحفزوا حفزة : تطعنوا طعنة . الموت مكتنح : أى قريب من حصين هو
 حصين بن حمام البرى . وابن سيار : هو منصور بن سيار الغزاري .
 (٥) العوارك : الناضج . عند أطهار : أى عند انقطاع حيضها .

وللفخر عند العرب مكانة عظيمة ، ولا سيما الفخر القبلي الذي يعد بمثابة خط الهجوم الأول ، ترهب به القبيلة خصومها ، وتضعف معنوياتهم ، فهو يشبه سلاح الشئون المصنوية بالقوات المسلحة الآن .
والفخر إما فردى ، وإما قبلى جماعى .

و فى الفخر الفردى يكون اعتداد الشاعر بفضائل نفسه من عفة وصبر وقوة وشجاعة فى الحروب . . . الخ .
ومن الفخر الفردى قول عنتره :

كهلًا سألت الخيل يا ابنة مالك . . . إن كنت جاهلة بما لم تعلم
يُخبرك من شهة الواقعة أننى . . . أغشى الوغى وأعف عند المغنم

والفخر القبلى كثير لدى الجاهليين ، فالجاهلى يستمد كيانه وشخصيته من مجد القبيلة وشرقيها ومن هنا حرص على إعلاء هذا المجد فبالإضافة إلى الإشادة به ، وإذاعته بين الناس ، ومنه قول " الخنساء " فى الجاهلية :

وَحَيْلٌ تَكْدُسُ بِالْأَرْوَاحِ . . . وَتَحْتَ الْعِجَاجَةِ يَجْزِيَنَّ جَعْرًا (١)
جَزَزْنَا نَوَاصِي فِرْسَانِهِمْ . . . وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ كُنْ تُجَجَّرَا
تَعِيفُ وَنَعْرِفُ حَقَّ الْقِيَمَى . . . وَنَتَّخِذُ الْحَمْدَ مَجْدًا وَكُنْزَا
وَنَلْبِسُ فِي الْحَرْبِ تَلْبِيجَ الْحَدِيدِ . . . وَنَلْبِسُ فِي الْأَمْنِ خَزَا وَفَزَا

(١) التكدس : مشى ليس بالسرير ولا بالبطى ، إلى الحرب ، ولا يكون المشى المتكدس إلا للقتال . العجاجة : الغبار الذى تثيره الخيل لمرعتها وكثرتها . الجيز : ضرب من العدو دون الحضر الشديد وفوق العتق .

فقومها أهل بأس وقوة ، وأهل عفة وكرم ، وهم ذوو سعة ويسار . .
ومن الفخر القبلى قصيدة عمرو بن كلثوم " المعلقة " . . .

٤ - المدح :

هو الثناء بالشعر على إنسان لفضيلة اتصف بها ، أو لعمل جليل قدمه ، أو لمعروف أسداه . فيكون المدح - حينئذ - اعترافا بفضائل المدوح . وقد يكون المدح رغبة في العطاء ، وهذا ما أطلق عليه التكسب بالشعر . وأشهر فرسان هذا النوع في الجاهلية : النابغة ذهير والأعشى . . وأكثر شعراء الجاهلية لم يمدحوا لرغبة ، لأنهم اعتزوا بذواتهم وكانوا أولى حمية وأنفة ، ومن هنا تأخر المدح عن كثير من فنون الشعر وقل عند أكثر الجاهليين ولا سيما الشعراء الفرسان .

ومن مشهور مدح الجاهليين قول " زهير " في معلقته يمدح " الحارث ابن عوف " و " هرم بن سنان " :

سعى ساعياً غَيِّطَ بَيْنَ مَرَّةٍ بَعْدَ مَا . . . تَبَيَّنَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْأَدَمِ (١)
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ . . . رَجَالٌ يَنْوُونَ قَرِيضَ وَجَرِّهِمْ
يَمِينًا لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُ مَسَا . . . عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَرْمٍ (٢)

(١) الساعيان هما : الحارث بن عوف وخارجة بن سنان المريرين .
تَبَيَّنَ : تقطع -

(٢) السحيل : خيط واحد . والمرم : خيط مفتول من خيطين أى :
فى كلا الأمرين الشديد واللين ، المحكم وغير المحكم .

- ١٠١ -
- تداركنما عيساً ودَيَّان بعد ما . . . تَقَاتَرُوا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عَيْلَرُ مَنَشَم (١)
- وقد قلتما إن تُدْرِكَ السَّلَمَ واسعا . . . بمالي ومعروف من القول تسلسم
- فأصيحتما منها على خير موطن . . . يعيدون فيها من عقوق ومأثم
- عظيمين فوعليا معد هديتسا . . . ومن يستبج كثرًا من المجد يعظم (٢)

٥ - الهجاء :

وهو ضد المديح ، وفيه تمديد لمعيوب الأعداء ، وإظهار مقابحهم وكشف مساوئهم والتشديد عليهم ، والسخط والسخرية منهم .
 وأكثر بسبب النزاع القليل والتنافس على الماء والطعام ما استتبع حروباً مستمرة أُلحِجت الهجاء بين الفرق المتحاربة .
 والصدق الفني في الهجاء متحقق أكثر من سائر الأغراض ، لأن الشاعر يهجو لا من أجل الهجاء ، وإنما استجابة لماطقة صادقة ومشاعر حقيقية ومن هنا امتنعت الفخساء عن هجاء قيس بن الخطيم وذلك حين طلب منها " حسان بن ثابت " هذا الهجاء ، فقالت : لا أهجو أحداً أبداً حتى أراء فجاءته يوماً فوجدته في مشقة متلفاً في كساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم مقام ، فقالت أدبر فأدبر ، أقبل فأقبل ، وكأنها تعرض عبداً تشتره ، ثم عاد إلى حاله نائماً ، فقالت : والله لا أهجر هذا أبداً (٣)

- (١) منشم : امرأة كانت تباع العطر في الجاهلية ، تمطر من عطرها ما قوم وخرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً قساروا يضربون بها الدئل في الشوم .
 (٢) عليا معد : أرفعها . يستبج كثرًا : أن يجد كثرًا مباحاً فواغسده لنفسه فيعظم حينئذ .
 (٣) الأغاني ١٠/٣ ١٠٤٩ (دار) .

ولم يستحسن النقاد الهجاء المقذع ، بل عابوه — يروى " عمرو بن
العملاء " أنه قال : " خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها " (١)
وقال خلف الأحمر : " أشد الهجاء أغفه وأصدق " (٢) ومن أشد
الهجاء وأقساه الهجاء بالتفضيل ، وهو ما سمي بالهجاء المقذع ، وذلك
بأن يفاضل الشاعر بين رجلين فيمدح هذا ويذم ذاك . مثال ذلك :

قول العباس بن مرداس (في الجاهلية) :

لَعَسَى لَقَدْ آوَى الْجَوَادُ ابْنَ عَاصِمٍ . . . وَأَحْصَنَ جَارًا يَوْمَ يَحْدِجُ بَكْرُهُ (٣)
أَقَامَ عَزِيزًا مُنْتَدِي الْقَوْمِ عِنْدَهُ . . . فَلَمْ يَرِ سَوَاءٌ وَلَمْ يَخْشُ عَدُوَّهُ (٤)
أَقَامَ بِسَعْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ آمِنًا . . . وَيَأْكُلُ وَسْطَاهَا وَيَرِيضُ حُجْرَهُ (٥)

فهذا مدح " لقيس بن عاصم " الذي أكرم جاره ، وقام بحقه خير قيام ،
ولما نزل هذا الضيف نفسه عند " حوین الطائي " وثب عليه رجال من طي
فقتلوه ، وأخذوا ماله . يقول " العباس " في حوین :

فَإِنَّكَ إِذْ بَادَلْتَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ . . . جُرَيْنًا لِمَخْتَارِ الْمَنَازِلِ شَكْرَهُ (٥)

(١) العمدة : ١٣٨/٢ : ١٣٩

(٢) أحسن : منع وحفظ . حدج اليسير . كضرب شد عليه الحسدج
والأداة ووسقه . اليكر : الفتي من الإبل .

(٣) منتدى القوم : مجلسهم الذي يتحدثون فيه . غدره : يجوز أن يكون
بالها . وبالتاء .

(٤) سعد : هم بنو سعد قوم قيس بن عاصم . يأكل وسطاها . من
أمال العرب أى يختار أحسن منطقة في المرعى ويرى حجيرته : أى

ناحية .

(٥) شرة : مؤنث شر .

- فَأَصْبَحَ يَخْدُو رَحْلَهُ بِتَفْسَارَةٍ . . . وماذا عدا جباراً كريماً وأسرته (١)
 يظل بأرض الغدير يأكل عبيده . . . جوين و"شمخ" "خار بين بوجره" (٢)
 يذمان بالأزواد والازاد محسرم . . . مروقان من عرق شرورا وفجره (٣)
 ولو أنه هجا "جويئا" دون أن يدع "قيسا" لما كان مؤثرا بنفس القوة
 المتحققة . إذ من المعروف أن "الشد يظهر حسنه الفد" . . . وبهذا
 صار "جوين" عاريا من كافة الفضائل الإنسانية بوصفه في كفة . و"قيس"
 في كفة أخرى . فطاشت كفة "جوين" وثقلت كفة "عاصم" .

وقد يوفض بعض الشعراء الهجاء ويأباه . لأنه لم يتعود الخنساء
 والفحش . وهذا ما فعله "صخر" أخو الخنساء حين طلب إليه قومه
 أن يهجو غطفان الذين قتلوا أخاه "معاوية" فقال :
 وعاد لي هبت يليل تلومني . . . ألا لا تلومني كفى اللوم ما بيما
 تقول : ألا تهجو قوارس هاشم . . . وبالي أن أهجوهم ثم ماليها
 أبي الهجو أني قد أصابوا كريمي . . . وأن ليس إهداء الخنأ من شماليا (٤)

- (١) حدا البعير : مابقه . المفازة : القلاة التي لا ماء فيها . أسرة
 الرجل : أهله الأذنون .
 (٢) يأكل عبيده : ينكثهم وينقضه . شمخ : اسم رجل : جوين : هو جوين
 الطائي الذي قتل في جواره الرجل القضاعي . الخارب : اللصوص
 وجره : اسم موضع .
 (٣) يذمان : يشاوتان . الأزواد : جمع زاد . المحرم : الحرمة التي
 لا يحل انتهاكها . العرق : الأصل . النجرة : النجور . والفجرة الأمر
 القبيح من كذب أو زنا .
 (٤) الخنأ : الفحش . شماليا : صفاتي وأخلاقي .

ويلاحظ على الهجاء أنه كان بسيطاً ، غير معقد ، واتسم بعدم الإفحاش إلا نادراً ، واقتصر على التنديد بالمعائب الشخصية ، والتشهير بالأشخاص ذوي الأخلاق السيئة التي تتنافى مع صفات العرب وأخلاقهم وأعرافهم .

٦ - الرثاء :

هو بكاء الميت ، والتغنى بفنائه ، وإظهار لوعة القلب وحرقة نفسه بفقدته ، والأسى لفراقه وبيان مدى خسارة القوم بوفاته .
وقد ذهب " قدامة " وتابعه " ابن رشيق " إلى أنه ليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يذكر من اللفظ ما يدل على هالك مثل : كان ، تولى ، قضى نحبه . . وما أشبه ذلك . .
وهذا غير صحيح . فهذا " ابن رشيق " يناقض نفسه حين يقول :
وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة ، مخلوطاً بالتهمسف والأسى والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً أو كبيراً " فالعاطفة هنا غيرها هنالك . هنا حزن ولوعة وهناك إعجاب . . . صحيح أنه قد يظهر التشابه ولكن في نوع معين من الرثاء وهو التأبين .
فالرثاء على ثلاثة أنواع :

١ - التأبين :

وهو " الثناء على الشخص حياً أو ميتاً " ثم اقتصر استخدامه على الموتى إذ كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت ، فيذكروا مناقبه ، ويعتدوا فضائله ، ويشبهوا محامده . . .

ب (الندب :

وهو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية ، والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية ، وتذيب العيون الجامدة إذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين في التحبيب والتشجيع وسفك الدموع .

ج (العزاء :

وهو الصبر على كارثة الموت والرضا بمر القضا والتسليم بأن ذلك هو مآل الناس جميعا .

وهذا مثل ما قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي . . . على إخوانهم لقتلت نفسي
وما ييكون مثل أخي ولكن . . . أعزى النفس عنه بالتأسي
وقد يكون الرائي : أخا أو أبا ، أو ابنا ، أو زوجا ، أو أختا ، أو قريبا ، أو صديقا . وتختلف العاطفة حسب صلة الميكي بالبنائي شدة وقوة وضعفا .

وزناء النساء يختلف عن رثاء الرجال وذلك لأن النساء " أشجن الناس قلوبا عند المصيبة ، وأشد هم جزعا على هالك ، لما ركب الله في طبيعتهن من الخور وضعف الفزعة " (١)

ويقول بروكلمان : (٢)

" لعل المراثية الشعرية نشأت نشأتها الأولى من ندب النوائح المجرد من القوالب ، ولهذا غلب تعبهده بعد ذلك على النساء . . . وقد بلغت

(١) العمدة لابن رشيق ١٢٣/٢ مطبعة الاتحاد الآخوى .

(٢) تاريخ الأدب العربي ١١٤/١

" الخنساء " في ذلك أقصى مراتب الشهرة .

والرجل يستطيع أن يتجلد ويصبر ويكتم أحزانه ولو كان ذلك تكلفا
كما قال أبو ذؤيب الهذلي :
وتجلدى للشامتين أربهم . . . أتى لريب الدهر لا أتضعض
أما المرأة فيصعب أن تكتم حزنها ، وأقرب شيء إليها دموعها تسكب
معها أحزانها وأشهر الرائيات على مر العصور " الخنساء " تلك التي
لم يجد الزمان يمثلها في هذا الفن ولا سيما رثاء الأخوة :

ومن عيون مرثيتها قولها :

- (١) ياعين جودي بالدمــــــــــــــــو ع المستهللات السوافــــــــــــــــح
(٢) فيضا كما غاضت غــــــــــــــــرو ب المترعات من النواضــــــــــــــــح
(٣) وابكى لصخر إذ تــــــــــــــــوى . . بين الضريحة والصفائــــــــــــــــح
(٤) رمسا لدى جدتي تذيــــــــــــــــح م بترينه هوج النوافــــــــــــــــح

- (١) المستهللات : جمع مستهلة وهي الدمع الذي يشبه المطر لغزارته
السوافح : المراقبة المسكوبة .
(٢) غروب : جمع غرب وهو : الغربة أو الدلو العظيمة المترعات : المملوءات
وقيل غروب المترعات : حدة مطر السحاب المفعم بالماء . النواضح : جمع
ناضحة وكأن السحابة المترعة لكثرة ماؤها صار الماء ينضح عليها .
(٣) ثوى : أقام . الضريحة : القبر ، أو هو بالتحديد : الأخدود فسي
القبر الصفائح : الحجارة العراض التي توضع فوق القبر .
(٤) هوج الرياح : أي الرياح العنيفة . النوافح : جمع نافحة وهي الرياح
الطيبة سوكان تلك الرياح بمرورها على قبر صخر تحولت من هــــــــــــــــوج
إلى نوافح تحمل ريحا طيبة علقت بها من القبر .

- (١) السادة الشم الجحاجح م الشيد الجحاجح وابــــــن
 (٢) من الملمات الفـــــــودح م الحامل الثقل المـــــــهم
 (٣) من المهاصر والمـــــــاغ م الجابر العظم الكـــــــمير
 (٤) ن من الخناذيد السوابح م الواهب المائة الهجـــــــا
 إلى أن تقول :
 (٥) تشفى المراض من الجوانح م ذلك الذي كنا بـــــــه
 (٦) ونخوة الشنف المكاشـــــــح م ويرد بادرة العـــــــددو
 (٧) ن فنالنا منه يتاطحـــــــح م فأصابنا ريب الزمـــــــا
 (٨) ن نحرورنا بمدى الذبائـــــــح م فكأننا أم الزمـــــــا

- (١) الجحاجح : ضخم الفعال • الشم : الأنف الآباء •
 (٢) الملمات : جمع ملمة وهي المصائب • الفودح : جمع فادحة وهي
 ثقيلة الوطأة •
 (٣) المهاصر والممانح : الأحداث والنواب التي تميل الرجال وتجذبهم
 جذبا عنيفا تدق فيه العظام وتهصر فيه العود •
 (٤) الهجان : الكرام من الإبل والخيول • الخناذيد : الطوال المشرفة
 من الخيل • السوابح : التي تند يديها في الجرى •
 (٥) الجوانح : جمع جانحة وهي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر •
 (٦) بادرة العدو : سابقة شرموحدته • النخوة الاقتحار والزهو والمكسر •
 الشنف : المبعض الكارة الحاقدة المكاشح : الذي يخفى بغضه
 حتى تحين له الفرصة •
 (٧) يتاطح : أي بقوة لا تقاوم ففيها معنى القهر والغلبة •
 (٨) مدى : جمع مدية وهي السكين • أم : قصد •

٧ - الغزل :

الغزل والنسيب والتشبيب مترادفات عند أكثر اللغويين

وهي كذلك عند معظم النقاد .

يقول ابن رشيق (١) والنسيب والغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .
وبعض النقاد حاول التفريق بينها كالنبيزي ولكن الصحيح أنها مترادفات .

وحين نتحدث عن الغزل فإننا نعني به : ذلك الشعر الذي افتتح
به الجاهليون قصائدهم واقفين على أطلال المحبوبة ، متحدثين عنها وعن
كل ما يتصل بها ، راجعين بذاكرتهم إلى الأيام الخوالي التي شهدت
وصال الحبيبين ثم ما أعقب ذلك من فراق خلف أسى ولوعة وحزنًا . . الخ

وقد احتل الغزل في العصر الجاهلي مكانا عظيما ، إذ تعارف الشعراء
على جعله بدءا لقصائدهم .

والشاعر الجاهلي حين افتتح قصيدته بالغزل قصد إلى ذلك قصدا وكأنيبه
يهيج سامعه ويفتح شهيته . . وأى حديث أشبه إلى النفس وأخلص
موقعا في الأذن من حديث الصباية ؟ . .

يشير ابن قنينة إلى ذلك فيقول : (٢)

(.) ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق
وفرط الصباية ، لميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعي
به إصغاء الأساع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس ولا يخط بالقلوب .

(١) العمدة ٢/ ٩٤

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٥

قال امرؤ القيس في معلقته :

- أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدْلِيلِ . . . وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْلِي (١)
 أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حَبْلَكَ قَاتِلِي . . . وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ
 وَإِنْ تَكُ قَدْ سَأَيْتُكَ مِنِّي خَلِيقَةً . . . فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلُ (٢)
 وَمَا ذُرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي . . . يَسْتَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ (٣)
 وَيَبْغِي خَيْرَ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا . . . تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ (٤)
 تَجَاوَزْتُ أَخْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَشَرًا . . . عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يَسْرُونَ مُقْتَلِي (٥)
 إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ . . . تَعَرَّضُ أَثْنَاءَ الْوَشَاحِ الْمَفْصَلِ
 فَجِئْتُ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ لَيَومٍ ثِيَابُهَا . . . لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لَيْسَةَ الْمَتَفَصِّلِ
 إِلَى أَنْ يَقُولِي : غَيْرُ مَقَاصٍ . . . تَرَاهِيهَا مَقْصُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ (٦)
 تَصَدُّ وَتَبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقُصِي . . . بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِئِلِ (٧)

- (١) صرمي : هجرى وقطيعتى .
 (٢) الثياب هنا : كناية عن القلب . تنسل : تبين عنها وتفترق
 (٣) ذرفت : ديمعت . أعشار : قطع . مقتل : بذل .
 (٤) بيضة خدر : أى رب امرأة كأنها بيضة في خدرها - شبيهها بها -
 لصفاتها وورقتها - لا يرام خياؤها : أى لا يتعرض لها أحد لعزها .
 والخيا : ما كان على عمودين أو ثلاثة . تمتعت من لهو بها غير معجل :
 أى وصلت إليها وتمتعت على تمهل غير عجل ولا وجل
 (٥) الأخراس : جمع الخرس . حراس : جمع حريص . يسرون : يضمرون .
 (٦) المسهفة : الخفيفة اللحم التى ليست برهلة ولا ضخمة البطن .
 المقاضة : المسترخية البطن . الترائب : جمع تريبة * وهو موضع
 القلادة من الصدر . السجنجل : قطع الفضة وسائكها * وهو ماء
 الذهب والزعفران .
 (٧) تصد وتبدى : أى تعرضت . وتبدى عن خد أسيل ليس يقبيح . وجرة :
 اسم موضع يطفئ : أحسن نظرا من غيرها لحسن نظرها إلى طفلها من
 الرقة والشفقة .

و "إِيَّاهُ الشَّمْسُ" شعاعها وضوؤها - يقول : إن هذا الشجر أبيض يسراق
زاد حسنه ضوء الشمس وشعاعها وأسنانها بيضا* محددة إذ لم تعض بها
شيئا صلبا ، فهي باقية على حدتها ودقة أطرافها ، و "أُسَيْفٌ" أى ذر
عليه . وقوله " لم تَكْدِم عليه بلئمد " فيه كناية عن الغنى والترف ، أو عن
عفتها ، فهي لم تأكل سوى اللحم ، فليست بشرهة تلتهم اللحم وتقضم
العظم .

ثم يصف وجهها - فى براعة - فيقول : إن الشمس ألقت حسننها وبهجتها
عليه حتى صار رداؤه الحسن والجمال ، فى لون صاف لم يخالطه اصفرار
ولا شئ يشينه " لم يتحدّد " أى أن جلد الوجه ليس مضطربا ولحمه ليس
مسترخيا ، وذلك لأنها فى ريعان شبابها وقتا سنها :

٨ - الاعتذار :

وفارس هذا الفن فى الجاهلية - بلا منازع - " النايقة الذبيانية " .
وذلك باعتدائاته للنعمان بن المنذر " تلك التى جاء فى إحداها :
أتانى - أبيت اللعن - أنك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأتأسف
فبيت كأن العائذات فرشن لسى هراسا به يعلو فراش يقشِبُ (١)
حلقت فلم أترك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مطلق
لكن كنت قد بلغت عن خيانتة لميلنك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرءا لى جأ يشب من الأرض فيه مستراد ومذهب (٢)

(١) الهراس : السوك : يقشِبُ : يخلط المبرأ بملحه حتى ينجع
فى البدن ويعمل ، وكل شئ يخلط به شئ يفسده فقد قشِب . وقيل
يقشِبُ أى يحدد وهذا أدعى لتعبيه .
(٢) مستراد : إقبال وإدبار .

- ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم . . . أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم . . . فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأنني . . . إلى الناس مطلق به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة . . . ترى كل ملك دونهما يتدب
فإنك شمس والملوك كواكب . . . إذا طلعت لم يبد منها كوكب
ولست بمستبق أحدا لا تلحقه . . . على شعبي أي الرجال المهذب
- ويقول في أخرى :
- فإنك كالليل الذي هو مدركي . . . وإن جئت أن المتأى عنك واسع
خطا طيف حجن في حبال متينتي . . . تمد بها أميد إليك نوازع^(١)
وقد اعتر النابغة بالبيت الأول " فإنك كالليل " وعده من مفاخره الشعرية
إذ قال " لحسان بن ثابت " في سوق عكاظ : يا بني إنك لا تحسن أن تقول
وأشدد البيت .

٩ - الحكمة :

وهي " غرض من الأغراض التي يوحى بها طول التجارب ، وممارسة
الأحداث ، والخلوص منها بنتيجة من النتائج يرض عنها الناس ويقبلونها
لأنهم يرون هذه التجارب في أنفسهم وفي ذويهم وفيمن عرفوا من الناس
وفي أحداث الحياة وتقلباتها وتصرفها بالبشر " (٢)

وقد نظر الشاعر العربي في الحياة نظرات ثاقبة ، إذ عاش في بيئة
صعبة ، تمرس فيها ، وأصاب منها خبرات واسعة ، أخرجها لنا قسي
قالب شعري يسهل حفظه بالعقل ، وعلوقه في النفس ، ومن ثم ترد يده

(١) حجن : معوجة واحدها : أحجن وحجنا . نوازع : جوانب .

(٢) معلقات العرب د / بدوي طبانة ص ٣٤٠

على الألسنة وبالتالي خلوده .
 ولم يقصد الشعراء القديما " إلى الحكمة غرضا أساسيا " ولكنهم
 ضمّنوها قصائد اشتملت على أغراض أخرى .
 ومن الحكمة قول " الخنساء " :
 نهين النفوس وهون النفوس —————
 س يوم الكريهة أبقي لهما
 ومعناه : أن الإقدام في الحرب والشجاعة فيها هو الذي يبقى الحياة
 ويحفظ للنفس كرامتها .
 وهو معنى قول الحصين بن الحمام المرى :
 تأخرت أستبقى الحياة فلم أجِدْ لنفسي حياة مثل أن أتقدم
 على أن بيت الخنساء " أبلغ حين سلكت طريق " المشاكلة " يجعل التقدم
 في الحرب إهانة للنفس ثم إطلاقها " يوم الكريهة " وقد يشمل ما سوى
 الحرب مما جعل المعنى أشمل . .
 وهو معنى قول الصديق أبي بكر : إحرص على الموت توهب لك الحياة .

أما فارس الحكمة في العصر الجاهلي فهو " زهير بن أبي سلمى " . .
 ومن حكمه قوله في معلقته :

- ١ - سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْرِشُ
 ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَلُ
- ٢ - رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبِطَ عَشْوًا مِنْ تُصِيبُ
 تَيْتَهُ وَمَنْ تُخْطِي * يَعْمَرُ فِيهِ (٢)

(١) تكاليف الحياة : أعباؤها ومشاقها وشدائدها .
 (٢) المنايا : جمع بنية وهي الموت . الخبط : السير على غير هدى
 والعشوا : الناقة التي لا تبصر أمامها ليلا .

- ٣ - وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَ _____
ولكنني عن علم ما في غد ع_____م
- ٤ - وَمَنْ لَا يُصْلِحْ فِي أُمُورِ كَثِيرَةٍ _____
يُضْرَسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسَمٍ (١)
- ٥ - وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ _____
يَفْقَهُهُ ۖ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتَمَ
- ٦ - وَمَنْ يَكْ ذَا فَضْلٍ قَبِيحٌ يَفْضُلُ _____
على قومه يُسْتَفْتَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ
- ٧ - وَمَنْ لَا يَزِدُّهُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحٍ _____
يُهْدَمُ ۖ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظَلَّمُ
- ٨ - وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنَ _____
ولو رامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُ
- ٩ - وَمَنْ يُؤْفِرَ لَا يُدَمِّمْ وَمَنْ يُغْضِ قَلْبَهُ _____
إِلَى مُظْمِنٍ الْبِرَّ لَا يَتَجَمَّجِمُ
- ١٠ - وَمَنْ يَغْتَرِبَ بِحَسَبِ عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقِهِ _____
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ
- ١١ - وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ _____
ولو خَالَهَا تَخَفَقْ عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

(١) يصانع : يترفق ويداري • يُضْرَسْ بِأَنْيَابٍ : يضغ بضرس • المنسم :
خف البعير •

حكيم عظيمة تنم عن موهبة "زهير" الشعرية وعن طول خبرته بالحياة .
وعلمه بكثير من الأمور من خلال هذه السنين التي عاشها . .

١ - يقول في البيت الأول : ملئت من مشقات الحياة ومتاعبها
وأعبائها الثقال ، ومن عاش ثمانين حولاً - مثلى - فإني حسيساً مثل سأمي
٢ - وينظر إلى الموت فيجده لا يقصد إلى الضارين في العمر فقط
بل قد يقصد إلى رضيع أو إلى شاب ، وهو في ذلك كالنافذة التي تخبى ط
خبط عشوا لا تدري أين تضع قدسها

٣ - وإني أعلم من الماضي ما أعلم ولكنني لا أعلم ما في غد .

٤ - من لا يترفق بالناس ، ويداريهم فإنهم لا يستطيع العيش وسطهم
اذ سيقبله الناس يأكلونهم سنانهم ويطأونه بأقدامهم .

٥ - وعلى من يريد ان يصون عرضه ويقيه أن يبذل المعروف ، ومن
أساء معاملة الناس وعرض نفسه لشتتهم شتموه ، فكان جانياً على نفسه .

٦ - وإن صاحب الجاه والمال والثراء العريض الذي يغيث ماله
عن حاجته ، ثم لا يفيد أهله وأقاربه من هذا الفضل فإنه لا حاجته
لهم فيه ، ولا قيمة له عندهم ، وسوف يذمونه وهو مستحق ذلك .

٧ - ومن لا يدافع عن حماه وعرضه بنفسه وسيفه فإن حماه مهدوم
وشرفه ضائع .

ومن لم يكن ظالماً كان مظلوماً " . . (هي دعوى جاهلية بلا شك تتنافى
وأخلاق الإسلام الذي دعا إلى العدل والحق . وهذا مما يدل على
جاهلية هذا الشعر .

- ٨ - والذي يخشى الوقوع فيما يؤدي إلى الموت لابد أن يدركه الموت ولو صعد السما سلم . وهذا يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ" .
- ٩ - ومن حافظ على عهده ووفى به لا يصيبه ذم ، ومن كان قسى صدره برقد أطمأن وسكن - ليس ببر يرجف ولم يطمئن - " لم يتجمع " أى لم يتردد وإنما أمضى كل أمر على جهته . وليس كمن يريد عذرا فهو يتردد في أمره ويتشكى .
- ١٠ - ومن كان غريبا في مكان ما فإنه لا يستطيع تمييز العدو من الصديق ، لأنه لم يختبر العدو من الصديق . ومن لا يكرم نفسه فلن يجد لها من دونه مكرما . فمن هانت عليه نفسه هان على الناس .
- ١١ - وإن من حاول التكلف والظهور بما ليس فيه من خلال طيبة وإخفاء ما فيه من خصال السوء وهو يظن أنه لن يكتشف أمره ويظهر مخبره - فإنه لابد أن يكتشف أمره لأن الطبع غالب كما يقولون .
- وتتضح شخصية زهير في هذا النص وضوحا كبيرا .
- * فهو رجل محنك خبير بالناس وطبايعهم وصفاتهم .
 - * كما يتضح أنه يقر بعض الأعراف الجاهلية رغم خطئها وذلك مثل قوله " ومن لا يظلم الناس يظلم " .
 - * وفي النص كثير من صفات وأخلاق الجاهليين .
- أما من حيث أسلوبه فإنه ينبغي الإشارة إلى أنه كان من يهتمون بالقصيدة اهتماما بالغا ، فيبذل بها وينقحها ، وتستغرق منه حولا كاملا وهذا يعطيه فرصة لحذف ما لا يروقه وإدخال ما يضيف الرونق والأبهة

والجمال . وكل هذا واضح في الأبيات ومن هنا اختيرت ضمن عيون الشعر
العربي " المعلقة " .

✱ والحكمة في المعلقة كانت غرضاً أساسياً إلى جانب الوقوف بالأطلال
والغزل - ثم المدح والتنديد بالحرب وويلاتها - ثم الحكمة .

خصائص الشعر الجاهلي

أولاً : من حيث الألفاظ والأساليب :

- * تغلب على ألفاظ الشعر الجاهلي القوة والجزالة ولا سيما في معرض الحماسة والفخر ووصف الحيوان والطرق المحشوقة ما شابه ذلك .
- * أما في الغزل فالألفاظ فيها رقة ولطف . . .
- * وتكثر في الشعر الجاهلي الألفاظ الغريبة التي تضطر إلى الرجوع بها إلى المعاجم اللغوية ليستنى لنا فهم ذلك الشعر ، وذلك نظراً لطول العهد بيننا وبين عصرهم .
- * ألفاظ الشعر الجاهلي عربية خالصة ، ويندر أن تجد فيها لفظاً أعجمياً اللهم إلا شعر الأعشى الذي استعمل كثيراً من الألفاظ الأعجمية نظراً لنزوله بلاد العجم كثيراً .
- * عنى الجاهليون باختيار ألفاظهم بدقة ، وبإلغ بعضهم في التتقيح والتهذيب والصقل واستغرقت القصيدة منه وقتاً طويلاً قد يقرب من عام ومن أشهر هؤلاء " زهير " صاحب الحوليات .

ومن هنا لقبوا بعض الشعراء بألقاب تدل على هذا التتقيح والتحسين فقالوا : " المصَّلهل " لأنه أول من هاهل ألفاظ الشعر وأرقَّهـا والمرقش لتحسينه شعره وتنديقه ، والمُحَيَّر لتزيينه شعره وعلقة الفحل لجودة أشعاره . . . الخ (١)

(١) راجع الأغاني (دار) ٥٧/٥ ، العصر الجاهلي شوقي ص ٢٢٧ في الأدب الجاهلي / علي الجندى ٤٥٣ .

* وقد استعملوا الألفاظ في معانيها الحقيقية ، إلا ما كان في الوصف والغزل وبعض المدائح فسلخوا طريق المجاز أحيانا .
* وقد استعانوا بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية للتأشير في السامعين ، وأكثر صورهم الشعرية قائمة على التشبيه لأن فيه من الملاءمة والتناسب مع البيئة ما ليس في غيره من الوسائل البيانية الأخرى ، فهو وسيلة سهلة واضحة تتناسب مع وضوح البيئة وبساطتها فهو يشخص المعنى ويمثله تمثيلا . (١)

وهم حين يلجأون إلى التشبيه يقصدون منه : المبالغة ، ولا سيما في شعر الحرب فمثلا يشبهون الجيش بالسحاب المتراكم ليرهبوا الخصوم .
وقد يقصدون منه التأكيد أو البيان والتوضيح . الخ
كما نجدهم وسائل تصويرهم الاستعارة كما في قول امرئ القيس في الليل :
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلٍ (٢)
وفي شعرهم الكناية وإن كانت أقل الألوان البيانية عطا في الاستخدام ومن كنايتهم عن المرأة : (٣)
وَيُضْحِي فَتِيَّتَ الْمَسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا تَتَوَفَّى الضَحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
كناية عن الغنى والرفاهية وأنها مخدومة . . .
كما استخدموا من الألوان البدعية الطباق والجناس وغيرهما ، ولكن هذه الألوان جاءت غفو الخاطر دون كد ذهن أو تكلف بمقوت .

(١) راجع / الفن ومذاهبه في الشعر العربي / شوقي ضيف ١٤٥ و ١٥٢
(٢) ، (٣) البيتان من معلقة امرئ القيس .

× ومن أبرز خصائص الشعر الجاهلي الإيجاز فالشاعر يتحرى الدقة في التعبير ويتحاشى الإطناب وفضول الكلام .

ثانيا : من حيث المعاني والأفكار :

اتسمت المعاني بعدة سمات منها :

١ - الواقعية :

فقد عكس الشاعر الجاهلي في شعره صورة الحياة من حوله ، من أرض يعيش عليها ، وأخرى ظعن منها ، ودَوَّيَّةٍ فقر مهلكة ، وسهل وجبل . . . ووصف الظواهر المناخية من برق ورعد وسحاب وسيل ، وتتبع رحلة المطر وغزارته حتى صار سميلا أهلك الضرع ودمر الزرع . واهتم بالحيوان الذي كان عماد حياته ، فوصف الغرس والناقة ، وسرعتها ، متناولا نعت أعضائها بدقة وبراعة . . .

وكان من أبرز مظاهر هذه الواقعية ذكر الشاعر الجاهلي المواضيع التي تقع فيها الأطلال ، محدِّداً معالم المواضع تحديداً دقيقاً ومن هنا استعان المؤرخون بهذا الشعر في تقرير الحقائق التاريخية للعصر الجاهلي ، واعتمد الجغرافيون وأصحاب معاجم البلدان على هذا الشعر في رسم أبعاد الأماكن وتحديد جوانبها ، وفي أسماء الجبال والمياه والآبار . . . الخ .

٢ - الفطرية والوضوح :

فالمعاني واضحة بسيطة * تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة المجتمع البدوي ، ولا شك أن البساطة والوضوح أثران من آثار البيئة وصفاء

الذهن واعتدال المزاج ، وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق ، فلا غموض ولا تفلسف . . . فجاءت معانيهم واضحة بسيطة ، لأنها عالجت حياة بسيطة واضحة بعيدة عن الحضارة — إلا قليلا " (١)

وهذه الواقعية وذلك الوضوح أدت إلى الصدق .

٣ — الصدق :

فقد نقل الجاهليون الواقع نقلا أميناً لا مبالغة فيه ولا إسراف وقد تجلى هذا الصدق في :

أ (معرض الحديث عن الحرب لم يكن الشاعر يتجاوز الحق — غالباً — فيظلم خصمه ، بل على العكس أشاد بشجاعة العدو ، وأثنى على بسالته ، وأنصفه من نفسه في قصائد سميت " المنصفات " (٢)

ومن هذه المنصفات قصيدة العباس بن مرداس التي يقول فيها :

فلم أرَ بثلَّ الحَيَّ حَيًّا مُصَبَّحًا . . . ولا يثأرنا لَمَّا التَقَيْنَا فوارِسًا
أَكْرَ وَأَخَى للحقيقة منهم . . . وأضرب مَنَّا بالسُّيوفِ القَوَارِيسَا
وأَحْسَنَّا منهم فما يَلْفُونَنَّا . . . فوارِسُنا يَحْيِسُونُ المَكَايِيسَا
إذا ما شَدَدْنَا شِدَّةً نَصَبُوا لَهَا . . . صُدُورَ الدَّاكِي والزَّمَاجِ المَذَاعِيسَا

ب (ومن مظاهر هذا الصدق أنهم لم يَحَنُوا نقاط الضعف أو المعاييب من قوسهم بل كانوا يتحدثون عنها ويظهرونها .

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفتونه د / يحيى الجبوري ١٩٩ — ٢٠٠

(٢) ديوانه . القصيدة رقم ٢٠

ج (وقد بلغوا من الصدق أن الفارَّ الهارب من المعركة قد يسجل فراره وهروبه في شعره ، حتى إن بعضهم لقب بـ " الفرار " لشعره قاله في قراره .

٤ - غلبة الجانب الحسي :

وقد ذهب أكثر النقاد ^(١) إلى تعميم الحكم بالحسية على الشعر الجاهلي كله . والحق أن الحسية غالبية فقط . . . وهناك من الشعر الجاهلي ما صور النفس وتغلغل داخلها ، وغاص في أعماقها . . . ولم يكتفوا بالانتفاذ إلى الحيوان من ظاهره في شكله وسرعته وقوته . فانظر هذا الشعر وهل يجوز أن نصفه بالحسية أيضا ؟ !

تقول الخنساء :

وما عَجِرْتُ على بَرٍّ تُطِيفُ بِهِ . . . لها حنينان وإعلان وإقرار
ترتفع ما رتعت حتى إذا ادَّكَّرت . . . فإنما هي إقبال وإدبار
لا تشمن الدهر في أرض وإن رتعت . . . فإنما هي تحنُّنٌ وشجَّار
يوماً بأوجد مني يوم فارقتني . . . صخرٌ وللدَّهر لِحلاءٌ وإقرار
فقد نظرت الشاعرة إلى أفعال الناقة الظاهرة ، ونفذت إلى نفسها من خلال هذا الظاهر فوضعت يدها على موضع الحزن فيها وتغلغلت

(١) راجع مثلاً : العصر الجاهلي / شوقي ضيف ص ٢٢٠ ، في الشعر الجاهلي / علي الجندى ص ٤٤٨ ، الوصف في الشعر العربي عبد العظيم قناوي ١٠٢ ، فجر الإسلام / أحمد أمين ٦٠ ، الأدب وفنونه / عز الدين اسماعيل ، فن الوصف / إيليا حاوي .

داخلها لترى أثر الصدمة ظاهراً كل مرة بعد اكتشافها أنها صارت
ثكلى ، فقد فقدت ابنها . .

ثم لم تكتف الخنساء بذلك فقط ، بل إنها ذكرت أنها لن تسمن أبداً
والن رعت الدهر في مرغى ذى كلاً وفير ، وهذا إن دل فإنما يدل على
مدى تعمقها داخل نفس هذه الناقة . . وهناك أمثلة أخرى لتصوير
نفس الحيوان والوقوف أمامه للتأمل في كل أحواله الظاهرة والتغلف
داخل أعماقه زخرت بها مصادر الشعر الجاهلي . (١)
لذا : ليس من الدقة أن نعم الحكم بالحنسية على الشعر الجاهلي كله .
وإنما نقول إن معظمه قد غلب عليه الجانب الحسي .

ثالثاً : من حيث بناء القصيدة :

اصطلح الجاهليون على بناء القصيدة أنهم لا يكادون يخرجون عنه . .
يقول ابن قتيبة : (٢) " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة
إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمع والآثار ، فيكى وشكا ، وخاطب الربيع
واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاءنين عنها
ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصياصة

(١) راجع مثلاً : قول عمرو بن معد يكرب في النوق/الأصمعيات ١٧٦/٦١

وقبله : شتم بن نويرة في النوق أيضاً / شرح المفصليات ٩٦٦/٢ —

٩٦٧ هـ وقول دريد بن النسيب في " ذات البو " الأصمعيات ١٠٩

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٤ هـ ٧٥

والشوق ، ليعمل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه . . . فإذا علم أنـه
قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل
في شعره ، وشكا النقص ، والسهر ، وسرى الليل ، وخر الهجير . . . إلخ
هذا هو منهج الجاهليين في بناء القصيدة ، والخط الذي رسموه لأنفسهم
باستثناء طائفة الصعاليك . . .
ومعنى هذا أن الوحدة الموضوعية غير متحققة في القصيدة الجاهلية
فهي متعددة الموضوعات .
أما الوحدة العضوية فقد فطنوا إليها ، وتحققت في شعرهم فالتمسك
في القصيدة بنطاق وليس هناك قطيعة بين أفكارها ، وقد أحسنوا التخلص
والانتقال من غرض إلى آخر . . . حتى انتهوا إلى غتم القصيدة ختمًا محكمًا .

الفصل الخامس : التَّاجِم

التراجيم

١ - شاعر من مدرسة الملقنات

عنزة العيس

هو (١) : عنزة بن عمرو بن نجاد بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك من عيس . . أخذ أغربة العرب وعلم ثلاثة (عنزة ، خفاف بن نديسة السليك بن السلكة)
أمه حيشية يقال لها زبيبة . وكان له منها إخوة عبيد .
وعترة أحد بني عيس بسواد ، وأمّه وإخوته فقال " عنزة " راداً عليه :
لني لأحتضر اليأس وأوفي المغمم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت ،
وأفصل الخطّة الصمّاء (يعني الدقيقة اللطيفة) . قال له الرجل أنسا
أشعر منك قال ستعلم ذلك .

وظل عنزة عبداً لم يعترف به أبوه حتى أغار بعض أحباء العرب على عيس فأصابوا منهم واستاقوا لإبله ، فتعرض لهم العيسيون وبينهم عنزة فقال له أبوه " كر يا عنزة " فقال : العبد لا يحسن الكر وإنما يحسن الحلاب والكرف فقال أبوه : كر وأنت حر .
فقاتل عنزة قتالا شديداً ، واستنقذ الإبل من الأعداء فاعترف به أبوه ونسبه إليه .

منزلته بين النقاد :

يعدّه الأصمعي من أشعر القرسان ، وهو من فحول الطبقة السادسة

(١) ترجمته (أخباره في الشعر والشعراء) ١/ ١٥٠ والأغانى (دار) ٨/ ٢٣٧ ، شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ٢٩٣ وغيرها .

من شعراء الجاهلية عند ابن سلام • وعده اليفضل الضبي من الفحول
وجعله أبو عبيدة في الطبقة الثالثة مع العرقش الأكبر وكعب بن زهير
والحطيئة وغيرهم •
وليس أدل على جودة شعره • ورفعة منزلته من أنه من أصحاب المعلقات

• المرأة في حياته :

للمرأة في حياة عنتره وشاعريته أثر كبير :

• أمه : رأى عنتره أمه • مستدلة • ملوكة • فرثى لحالها وتأثير
لوضعها وهذا له تأثير ضخم على حياة الابن •

• زوجها أبيه : وقد اتهمته بأنه راودها عن نفسها • وكان ذلك قبل
أن يدعيه أبيه • فأخذه أبيه وضربه ضرباً مبرحاً • فلما رأت زوجة أبيه
ما به من الجراح رقت لحاله • وبكت فقال عنتره في ذلك :

أبين شهية دمع العين مـذروف •• لو أن ذا منك قبل اليوم معروف
كأنها يوم صدت ما تكلمـنى •• ظيقت بعسقان ساجى الطرف مطروف
تـجـللتنى أن أهوى العصى قبلى •• كأنها صنم يعتاد معكـوف
المال ما لكم والعبد عبـدكم •• فهل عذابك عنى اليوم مصروف
تنسى بلائى إذا ما غارة لقحت •• تخرج منها الطولات السراعيف

• أما المرأة الثالثة فقد كان لها أكبر التأثير في شعره وفروسيته

إنها " عيلة " ابنة عمه • تلك التى أحبها • وطلب الزواج منها إلا أن
عمه رفض أن يزوجه ابنته عبدا • فكان هذا الرفض حافزا لعنتره لإثبات أنه
ليس بأقل من الأحرار إن لم يكن أحسن منهم وأرفع قدرا • كان هذا مشيرا
له ولشاعريته • ولاعترازه بنفسه • وتغتيه بعد ذلك بالفضائل النفسية من
شجاعة ونجدة ومروءة وعفة •• الخ وقد اختلفوا فيما إذا كان تزوج عيلة

بعد تحريره أم لا . .

* والمرأة الرابعة : وهي من بجيلة ، جاء ذكر لها في شعره
يقال إنه تزوجها ، ويقال : إنه لم يتزوج وإنما كان مشغولا بالحروب
حتى عشق الممارك وحديث الممارك لدرجة أنه تغزل في أدوات الحرب .
وقد شهد حرب داحس والغبراء ، وأبلى فيها بلاء عظيما .

من مشهور شعره الذي أعجب به النقاد قوله الذي سبق إليه ولم
ينازع فيه : (من المعلقة)
وَحَلَّ الدَّيَّانُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ . . . يَرْدَا كِفْعَلُ الشَّارِبِ الْمُتَرَشِّمِ
هَزَجًا يَحْكُ زِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ . . . فَعَلَ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
قال ابن قتيبة وهذا من أحسن التشبيه .

وقوله :
وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ . . . مَا لِي وَعِزِّي وَافِرٌ لَمْ يَكْلَمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ تَعْدِي . . . وَكَمَا عَابَتْ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي
وقوله :
إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَيْسٍ مُنْصَبِّحًا . . . شَطْرِي وَأَخِي سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاخِظَتْ . . . أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمٍّ مَخْبُولِ
يقول : النصف من عيسى بن خنيس عيسى ، وأخى النصف الآخر ، وهو نسيبه في
السودان بالسيف ، فأشركه أيضا .

وفاته :

قيل إنه قتل رمياً بسهم ، رماه به رجل من طيء وقيل غير ذلك .

معلقة عننطرة

سبب إنشائها :

روى أن أحد بني قومه عيّره - كما سبق - فكان فيما قال له : أنا أشعر منك قال عننطرة : متعلم .

فكان أول ما قال قصيدة " هل غادر الشعراء من مترد " - المعلقة . وهذا الخبر غير معقول فهو يوحى بأن عننطرة قد ارتجل هذه المعلقة ارتجالاً بسبب مقال ذلك الرجل ، على سبيل التحدى . ولا يتأتى أبداً أن يصل شعر شاعر مبتدئ - فضلاً عن أنه مرتجل - هذه الدرجة من طول النفس ، والجودة ، والإتقان ، والإبداع الفني . وإنما يدل على أن صاحبه قد راض نفسه طويلاً على تلك الصناعة حتى بلغ من النضج الفني قدراً عظيماً هو ما نرى صورته في هذه الرائعة إذ الرواية غير مقبولة .

عدد أبيات المعلقة :

اختلف في عدد أبياتهم يوردها تسعة وسبعين ، وبعضهم يوردها ثمانين ، وآخرون رووها واحداً وتسعين بيتاً . وقد بدأها عننطرة بقوله :

هل غادر الشعراء من مَسَرَّتْهم . . . أم هل عَرَفَت الدارَ بَعْدَ تَوَهُمِ (١)
 أى الشعراء السابقين لم يتركوا مجالاً لشاعر من بعدهم يطرقه ، فماذا
 هو قائل ؟ ثم أكمل المطلع بذكر الديار التى عرفها بعد توهم .
 ثم أخذ فى مخاطبة ديار الحبيبة " عيلة " وحياها ، واحتفظها علىها
 تجيبه جواباً يشفى حر قلبه ، وهو لا يريد سوى معرفة مكان الحل .
 ثم وصف حبه لها ، وذكر أسباب هيامه بها ، التى منها : جمال فمها ،
 ونباض أسنانها ، وطيب رائحة الفم . . . إلخ يقول :
 إذ تستبيك بذى غروبٍ واضح . . . عَذِبٌ مَقْبَلُهُ ، لذى الطَّعْمِ (٢)
 وكأنَّ قَارَةَ تاجرٍ يقسيمُ . . . سَبَقَتْ عَوَاضُهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ (٣)
 ثم وازن بين حاله وحالها ، وكيف أنها تعيش منعمة مرفهة ، بينما هو فى
 معاناة ، إذ يعيش محارباً . . . وبعد ذلك أخذ فى وصف الناقة فاستغرق
 منه ثلاثة عشر بيتاً ، إلى أن يصل إلى الفخر بنفسه وهو الغرض الغالب
 على المعلقة . . .
 وقد بدأ بوصف الفرس الذى يخوض به غمرات الحروب ، وكان بارعاً فى
 هذا الوصف ثم أطلال وصف بلائنه فى الحروب وعاد لذكر الفرس مرة أخرى .
 وهاك أبياتاً له من هذا الفخر بنفسه .

- (١) المتروك : الذى يحتاج إلى إصلاح ، وقيل هو عن التردد ، كالتردُّم
 وزيناً ومعجباً .
 (٢) تستبيك : تأسر عقلك وتذهب به بذى غروب : يشغرى غروب ، وغروب
 الأسنان حدها ، واضح : أبيض ، عذب : بارد .
 (٣) قارة تاجر : أى عطار قسيمة : حسنة ، يقول : كأن قارة مسك انتسك
 ريحها من فم هذه المرأة قبل أن تدنو منها فتقبلها أو تدنو من
 عارضها .

يقول عنتره :-

- أثنى علوي بما علمت فإني سئني . . . سَمَحَ مَخَالِطِي إِذَا لَمْ أَظَلَمَ (١)
 فإذا غلبت فإني ظلمي بأسل (٢) . . . مَرَّمْتُ أَقْنَهُ كَطَعِمِ الْعَلَقِيمِ (٣)
 ولقد شربت من المدامة بعد ما . . . رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعَلِّمِ (٤)
 برجاجة صفراء ذات أبيض سري (٥) . . . قُرْنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشَّامِ مُقَدَّمِ (٦)
 فإذا شربت فإني مستهل بك (٧) . . . مَالِي ۝ وَعَرَضِي وَإِفْرَ لَمْ يَكْلَمِ (٨)
 وإذا صحت فما أقصر عن ندي . . . وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرُؤِي (٩)
 وحليل غانية تركت مجسدا . . . تَمَكُّوْا فَرِيصَتَهُ كَيْشِدْقِي الْأَعْلَمِ (١٠)
 سبقت يداي له بعاجل طعنة . . . وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ الْعَنْسَدِ (١١)

(١) الثناء : المدح . سمح مخالطتي : سهل العشرة .

(٢) بأسل : كربة

(٣) المدامة : الخمر ۝ سميت بذلك لأنها أديمت في الدن . ركد : سكن .

يقول : شربت من الخمر بعد ركود الهواجر ۝ أي حين ركدت الشمس .

ووقفت وقام كل شيء على ظله . المشوق : الدينار المجلو . المعلم :

الذي فيه كتاب . وأراد بالمشوف المعلم : أنه شرب خمرًا ببيعير .

(٤) ذات أسرة : ذات طرائق وخطوط وتكسر . قرنت بأزهر : أي جعلت

مع إبريق أزهر وهو الأبيض - مقدم : عليه مصفاة ۝ أو شدة لون فمه بخمرة

(٥) يقول لعيلة : إني سخي كريم في الحاسنين جميعا ۝ في المصحو والسكر

وأن الخمر لا تحل منه شيئا ممنونا .

(٦) صحت : ذهب سكري . الندي : الخير والمعروف . الشمايل : الأخلاق .

(٧) التحليل : الزوج . الغانية : المرأة ذات الزوج المستغنية بزوجهما ۝

ثم قيل للشابة غانية سواء كانت ذات زوج أم لم تكن . تمكو فريسته .

والفريضة : المضغة التي في مرجع الكتف ۝ ترعد من الدابة إذا فسزع ۝

وإنما خص الفريضة لأنها إذا طعنت هجبت الطعنة على القلب فمات

الرجل ۝ فأخبر عن حدته بأنطمن قائنه لا يطعن إلا في المقاتل وقلبه

معسه . كشدق الأعلم : شدة الجمال وكل يعير أعلم لأن مشغره الأعلى

مشقوق . (٨) سبقت يداي : عجلت إليه بالطعنة . الرشاش : ما =

- هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ . . . (١) إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً يَمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِنْ لَا أَرَأَى عَلَى رِحَالَةٍ سَابِغٍ . . . (٢) تَهْدِي تَعَاوُرَهُ الْكَمَاةُ مَكْلَمَ
طَوْرًا يَجْرُدُ لِلطَّعْمَانِ وَتَسَارَةً . . . (٣) يَا وَى إِلَى حَصْدِ الْقَيْسِ عَزْمَرَمِ
يُخَيِّرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنْفَى . . . أَغَشَى الْوَقَى وَأَعْفَى عِنْدَ الْمَغْنَمِ
فَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءَ حَوَيْشَهَا . . . فَيَصُدُّنِي عَنْهَا الْحَيَا وَتَكْرُمِي
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحَ نَوَاهِيْلَ . . . مَنَى وَبَيْضُ الْهَيْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنْبِيَا . . . كَمَعَتْ كِبَارِقُ تَغْرِيكَ الْمَتَبَيِّغِ
وَمَدَّ جِجْجَ كِرَّةِ الْكَمَاةِ نِزَالَيْ . . . (٤) لَا مُنْعِينَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ لَهُ كَفَى بِعَاجِلِ طَعْنِي . . . (٥) بِمُتَّقِفِ صَدَقِ الْكُعُوبِ مَقْصُومِ
بِرَحِيْبَةِ الْفَرْعَيْنِ يَهْدِي جَرَسُهَا . . . (٦) بِاللَّيْلِ مُعْتَسِ الذَّنَابِ الضَّرَمِ
فَشَكَلْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصَمَّ ثِيَابِي . . . (٧) لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحَرَّمِ

تطايير وتفرق من الدم . النافذة : التي نفذت إلى الجوف . العندم

صنغ أحمر .

- (١) سألت الخيل : أى ركاب الخيل .
(٢) الرحالة : سرج كان يحمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد . السابغ من الخيل : الذي يعدو ويديه لا يرفع سنيكه عن الأرض كثيرا . تهدي : غليظ . تعاوُرهُ الكَمَاة : يطعنه ذا مرة وذا مرة بالكَمَاة : جمع كَيْع وهو الشجاع . مَكْلَم : مجرح .
(٣) يجرد : يبرز . حصد القسي : جيش كثير القسي . عزمرم : شديد أو كثير .
(٤) مدجج : متوارى بالسلاح .
(٥) متقف : مصلح مقوم . الكعوب : عقد الأنابيب . الصدق : الصلب .
(٦) رحيبة الفرعين : الدلو الواسعة . الجرس : الصوت . المعتس : من الذناب وغيرها . المتبقى الطالب الضرم : الجياح .
(٧) شككت : طعنت . ثيابه : كناية عن قلبه . ليس الكريم على القنا : =

- فَكَرَّكُنْهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَشْتَنُ . . . يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْيَعْصَمَ (١)
وَمَسَكَ سَابِقَهُ هَتَكَتْ قُرُوجُهَا . . . بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمَ (٢)
رَيْدٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا . . . هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مَلُومَ (٣)
لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ أَرْبَعُهُ . . . أَبْدَى تَوَاجُدَهُ لَغَيْرِ تَبَشُّمِ (٤)
قَطَعْنَتْهُ بِالرُّمُحِ ثُمَّ عَلَوْنَ . . . مَهْتَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ يَخْذَمَ (٥)
عَهْدِي بِمَدِّ النَّهَارِ كَأَنَّكَ . . . خَضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسَهُ بِالْيَعْظَمِ (٦)
بَطْلٍ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحٍ خَفِيٍّ . . . يُحْدَى نَحَالِ الشَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامِ (٧)

= بَحْرَم : أى لم يمنعه من أن يقتل بالقنا كرمه .

- (١) يقول : تركت قتيلي طعاما للسباع يتناولنه بالأكل . . .
(٢) الْمَسَكُ : هو ما شُدَّ بِسِمَارٍ ، وَالسَّابِقَةُ : الدرع الطويلة الثامنة .
هَتَكَتْ : قُطِعَتْ وَخَرَقَتْ الْحَقِيقَةُ : ما يحق عليه أن يمنعه ويحميه . يُعْلِمُ
معروف .
(٣) رَيْدٌ : سريع الضرب بالقِدَاحِ . شَتَا : أى فى البرد . هَتَاكَ غَايَاتِ
التجارة : أى يأتى الختارين فيشتري كل ما عندهم من الخمر فيقسلعون
راياتهم ويذهبون . وكان أصحاب الخمر إذا نزلوا رفعوا راية ليعرفوا
بها . والراية هى الغاية فلا يقلعونها حتى تشتري خمرهم جمعا . مَلُومٌ :
معذل . يلام على إنفاق ماله فى الفتوة . . .
(٤) السَّاجِدُ : آخر الأضراس .
(٥) الْمَهْتَدُ : نسبة الى الهند . الْمَخْذَمُ من السيوف : الذى ينتسف
القطعة أى يرمى بها .
(٦) مَدِّ النَّهَارِ : أوله . الْيَعْظَمُ : شجرة لها ورق يختضب .
(٧) يقول هو طويل من الرجال تام فكأن ثيابه التى هى عليه إنما هى على
سرحة من طوله . يَحْدَى نَحَالِ الشَّبْتِ : ليس براعى إبل فيليس جلد
الفطير . وَالشَّبْتُ : جلود البقر إذا دبغت بالقرظ . لَيْسَ بِتَوَامٍ : أى لم
يزاحمه أحد فى بطن أمه ولذا لك خرج طويلا غير ضعيف .

إلى أن يقول :

يَتَذَامُرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومٍ	لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
أَشْطَانُ يَفْرِقُ لَبَانِ الْأَذْهَمِ	يَدْعُونَ عَنَّتْ وَالرَّيَا كَانَتْهَا
وَلَبَانِيهِ حَتَّى تَسْرُبَ بِالْكَدَمِ	مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةٍ تَخْشَبُهُ
وَشَكَأَ إِلَى يَعْصِرَةٍ وَتَحْتَهُمِ	فَأَزُورُ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بِلَبَانِيهِمْ
وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامُ مُكَلِّمِي	لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَخَاوِرَةُ اشْتَكَى
قِيلَ الْفَوَارِسُ وَبِكَ عَنَّتْ أَقْسِيومِ	وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سِقْمَهَا
مَا بَيْنَ شَيْطَانَةٍ وَأَجْرَدٍ شَيْطَانِ (٢)	وَالْخَيْلُ تَفْتَحُ الْخِيَارَ عَوَاسًا

(١) يتذامرون : يحرض بعضهم بعضا .

(٢) الخيار : الأرض اللينة ذات الحجرة والجرة . الشيطان : الطويل .
الأجرد : القصير الشعر .

✽ التعليق :

في شعر عنتره - عموما - والمعلقة - خصوصا - تصوير لجانب - من الأخلاق الجاهلية .

وفي المعلقة تصوير للفروسية في العصر الجاهلي ، فهي ليست فروسية حربية فحسب ، وإنما فروسية خلقية سامية .

فقارنا هنا سهل العشرة ، لبن الجانب ، شريطة ألا يظلم ، فإذا ظلم فإنه يتحول إلى إعصار مهلك مدمر ، وذلك لأنه لا يحتمل الظلم ، ولا يرضى الضيم .

وهو وإن كان يشرب الخمر ، إلا أنه يجود بماله في سكره ، ولكن عرضه لا يخذش ، ولا تفسد مروءته ، وأما في صحوه فإنه لا يتوانى عن بذل وعطا .

وهو يدخل الوفي غير هيب ولا وجل ، ويجابه الأخطار لأغراض سامية لا طمعا في مغنم أو جريا وراء نزوة ، وإنما بدافع العزة والكرامة والإباء . . . وهو عف نبيل ، يقتل زوج الغانية الصنديد ولا ينتهز فرصة غياب الحليل فيمسها بسوء .

وتتم المعلقة عن حبه الإنصاف ، حين يرفع قدر خصمه بالكرم في قوله :
فَشَكَّكَتُ بِالرَّوْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ . . . ليس الكريم على القنأ بمحسرم
وهذا أمر محمود ، وقد جاء كثيرا في العصر الجاهلي ، فهناك القصائد المنصافات التي تنصف العدو وتعطيه حقه ، وتصف شدة بلائه وقوته .

وعنترة عاشق لأدوات الحرب بداية من الفرس "الأدھم" .. فقد
غاص داخل نفسه • وصور معاناته وقت المعركة • ووصف آلامه وجروحه
إذ يقول :

فَارْزُرَ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ •• وَشَكَا إِلَى بَعِيرِهِ وَتَحَمَّحُمُ
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى •• ولكن لو علم الكلام مكلفى
ويصور هذا الشعر مدى الحب من عنترة لفرسه • ومن هنا أحس به • وشعر
ما بداخله •

ونجد أيضا حبه للسيف الذى وجد فيه شيئا بينه وبين حبيبته
حين يقول :

ولقد ذكرت لك والرماح نواهيل •• منى ويبض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها •• لمعت كبارق ثغرك المتبسّم
وعنترة لأنه فارس غير عادى فهو يعمد إلى الفرسان من أشراف الخصوم
فيصرعهم وقد جاء ذلك في المعلقة في مشهد ين يقول في أحدهما :-
وحليل غانيم تركت مجدلاً •• تمكو فريسته كشدق الأعلم
سبقت يدائى له بما جل طعنني •• ورشاش نافذة كلون العنكدم
وفي المشهد الآخر يصف لنا كيف كان خصمه مدججا بالسلاح حتى تحاشاه
المقاتلون خوفا منه • إلا أن عنترة ساقه بطعنة نجلاء • أردت
قتيلا • وصار لحما للسياح ••

فتركته جرز السباع ينشئ •• يقضم حسن بنازه والمعصم
وعنترة يصور نفسه أشجع قومه • وليس أدل على ذلك من أنهم حين تشتد
رحى الحرب فيسرعون لدعوته كي ينجد هم •• وقد جاء ذلك في بيت غاية في
الجمال :

ولقد شقَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سَقَمَهَا ٥٠ قِيلَ الْفَوَارِسُ وَبِكَ عَنَتَرُ أَقْدَمُ
انظر إلى قوله : وبك عنتر أقدم ، وهذا الإيجاز الشديد الذي يوحى بمسدى
خطورة المعركة ، وأن الهزيمة تكاد تحقق بهم ، ولذلك فلا وقت عندهم
لكي يطيلوا الكلام عن طريق حروف النداء " يا عنتر " ثم التفصيل فـسـى
بيان هدف دعوتهم إياه ٥٠ إلخ فقد وفق الشاعر توفيقاً كبيراً ليريك كيف كان
الموقف بالنسبة إلى قومه إلى أن جاء عنتره قلب المعركة رأساً على عقب
وحول الهزيمة إلى نصر .

ومفردات القصيدة سهلة ، والألفاظ الغريبة فيها قليلة ، وقد أحسن اختيار الألفاظ التي تناسب الموضوع ولا سيما حين يتحدث عن لقاء الأبطال .

- * وتتحقق في القصيدة الحكمة ، وتتسلسل الأفكار فيها في تتابع مرتب .
- * وشعره متين البناء وهو يعمد - غالبا - إلى التفصيل .
- * ويتسم بالبساطة وعدم التكلف في إيراد الصور البلاغية .
- * تتجلى في شعره عموما ظاهرة التشخيص كما في حديثه عن الأدهم :
 فازدور من وقع القنا بلبابيه . . . وشكا إلى بصرته وتحكم
 وقوله :
 طورا يجرد للطعان وتارة . . . يأوى الى حصي القسي عرمرم

وما قلناه عن الخصائص الفنية في المعلقة يكاد يصدق على كل شعره .

٢ - من مدرسة الشعراء الصعاليك (١)

الصعاليك : جمع صعلوك . . . وهو في اللغة - الفقير الذي لا يملك ما يعينه على أعباء الحياة، وقيل إن أصل المادة يدور حول الضمور والانجراد . وتطلق كلمة الصعاليك - عند أهل الأدب - على فئة من الفقراء احترقوا السلوك العدواني بقصد المغنم ، واتخذوا لأنفسهم طريقة خاصة في العيش . وهؤلاء الصعاليك إما أن قباثلهم طردتهم وخلصتهم ، وإما أن آباؤهم لم يلحقوهم بهم لأنهم من أبناء الحبشيات السود ، وهؤلاء يطلق عليهم أغربة العربة ، وإما أنهم احترقوا الصعلكة باختيارهم .

واشتهروا بالسرعة الفائقة في العدوم وأبرزهم فيه عروة بن الورد وتأبط شرا والشنفرى وكانوا يهتمون بالحديث عن الفقر وأصدائه في نفوسهم . يقول عروة بن الورد لزوجته :

تدريني أطوف في البلاد كعلسى . . . أخليك أو أغنيك عن سوء محضر
فإن فاز سهم للمنية لم أكس . . . جزوا وهل عن ذاك من متأخر
وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد . . . لكم خلف أدبار البيوت ومنظر
فهو مصر على الإغارة حتى لا تضطر زوجته إلى ذل السؤال ، وهو يمين أمرين إما أن يقتل فهو أرحم لها ، وإما أن يغنم فيعزها وأبناءها .
وتحدثوا عن تحملهم الجوع ، يقول الشنفرى :
أدِيمَ يطال الجوع حتى أميتسه . . . وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

(١) راجع : الشعراء الصعاليك د / يوسف خليف ، شعر الصعاليك د / عبد الحليم حفتي ، الشعر الجاهلي د / شوقي ضيف ، في الأدب الجاهلي د / علي الجندى ، تاريخ الأدب العربي / بروكلمان شعر تأبط شرا - تحقيق سلمان داود القرية غولي ، جبار تعبان الجسم ، الصعلكة والفتوة في الاسلام / أحمد أمين ، الأغاني ج ٢١ وغيرها .

ورغم أنهم اشتغلوا بقطع الطريق إلا أنهم تحلّوا بصفات كريمة من عفة
نفس ، وإباء ، وأنفة .. إلخ .

فهم يفضلون الموت بعزة على الحياة بذلة - يقول عروة :
وما طالب الحاجات من كل وجهة .. من الناس إلا من أجَدَّ وشَمَّرا
فسر في بلاد الله والتس الغنى .. تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ويقول الشنفرى :

وأستغنى تراب الأرض كي لا يرى له .. على من الطول امرؤ متطوّل
ولولا اجتناب الدّام لم يلف مشرب .. يعاش به إلا لدنى وماكسل
ولكن نفسا حرة لا تقيم بسى .. على الضم إلا ريشما أنحوّل

وقال :
وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن .. بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
وصفات أخرى طيبة جاءت في أشعارهم .

وقد وصفوا أدوات الحرب في شعرهم وهي السيف والرمح والوس والدرع ..
وأطراف أسلحتهم سلاح العدو ، وهو من أساسيات الصلابة ، واتسم شعرهم
بعدة سمات ترجى الحديث عنها إلى حين الانتهاء من ترجمة أحـد
مشهورهم وهو :

ثابت شمسرا

هو : ثابت بن جابر بن شيبان بن عبيد بن عدي بن كعب .. خال
الشنفرى ، جاهلى ، من الصفاة ، كان فاتكا قويا ، يغلب الرجال ...
وقد سئل ذات مرة : بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت دميم ضئيل ؟

قال : باسمي ، وإنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شرا فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت .

لقبه :

عرف بلقبه هذا واشتهر به ، مع أنه ليس في صميم نسبه ، واختلف في سبب تلقيبه بـ " تأبط شرا " .

وارجح الأقوال وأقربها إلى التصديق هو :
أن أمه عندما سئلت عنه قالت : لقد تأبط شرا وخرج ، وكان قد وضع تحت يبطه سكيناً أو سيفاً . . . وقيل غير ذلك .

وكان تأبط شرا أعدى ذى رجلين وذى ساقين ، وأبصر ذى عينين ، وفى ذلك يقول :

لا شئ أسرع منى غير ذى عُذَرٍ . . . أو ذى جناح بجانب الرئد خفافاً^(١)
وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، ينظر إلى الظباء فينتقى أسمنها ، ثم يجرى خلفه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله .

وله مع الغول قصص في شعره ، ويبدو أنه قد نُسجت حوله الأساطير حتى صار كأنه بطل أسطوري خارق .

(١) ذى عُذَر : جمع عُذرة وهو ما أقبل من شعر الناصية على وجـه
الفرس ، الرئد : حرف الجبل ، والمعنى : لا شئ أسرع منى
إلا الفرس والطائر الجارح الذى يأتى إلى الجبل ، إذ هو أسرع
طيراناً من جارح السهل . "وليس في البيت : أداة استثناء .

ويقال :

إن أمه تزوجت من أبي كبير الهذلي ، وأحسن أبو كبير بحقد وشر في نظراته
فاستدرجه إلى حيث يلتقي هلاكه في إحدى الغارات حتى انتهى به إلى
عدوين له ، ولكن أبا كبير رجع مرعوباً حينما وجد تأبط شراً قد قتل
عدوينه وعاد يطعماهما .

* شعره :

تعددت أغراض شعره فمنها : الفخر بنفسه وأعضاء جسمه بد^(١) من
رأسه ونهاية برجله ، وفخر بجماعة الصعاليك .

ومنها : الوصف ، فقد وصف الحيوان عموماً ، ونالت الغول منه اهتماماً
خاصاً فلها نصيب وافر من شعره ، يصف ملاقاته للغول قائلاً : (١)

فَأَصْبَحَتِ الْغُولُ لِي جِسَارَةً . . . فَيَا جَارَتَا لَكِ مَا أَهْلَكَا
فَطَالِبْتُهَا بَضْعَهَا فَأَلْتَكَا . . . بَوَجُو تَهْوَلُ فَاسْتَقْبَلَا

فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ جَارَتِي . . . فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوِي مَنَزَلَا
ويرى الدكتور يوسف خليف أنه " ربما يقصد من الغيلان تلك الفصيلة من

الحيوان المعروفة باسم " الغوريلا " ولكن هذا لا يتفق أن صورتها عند
محاطة بإطار أسطوري " (٢) . .

وقد وصف تأبط شراً الحرب وأدواتها ، وبلاءه فيها . الخ

(١) الأغاني (دار) ١٢٨/٢١ هـ البشع : الفرج .

(٢) الشعراء الصعاليك ص ٢٤٥

وفي شعره حكمه تتم عن خبرته بالحياة النكدية التي عاشها الصعاليك في الصحراء ، ولذلك تحس فيها حرارة الانفعال ، وقسوة التجربة ، ومر العيش .

أما الغزل فيكاد شعره يخلو منه حتى في مقدمات القصائد وهي سهو عامة في شعر الصعاليك ، فما شأنهم والحب وهم بين التجول والتنقل والمغامرة !!

وإذا كانت بعض أسماء النساء وردت في أبيات له فإنها لا تسدل على حب حقيقي ، وفي شعره رثاء لإخوانه من الصعاليك ومن أشهر مراثيه قصيدة في رثاء الشنفرى صديقه ابن اخته .

وأما المدح فقليل في شعره ، وهو من نصيب رفقاءه في الصعلكة "ذلك أن المدح عند الشعراء مرتبط بالتكسب والاستجداء ، وتأبط شرا والصعاليك أبعد ما يكونون عن السؤال والتطلع إلى ما في يد الغير ، فلقد اعتاد الشاعر أن يكسب قوته بقوته" (١)

وقد اهتم القدماء بشعر تأبط شرا ، وعنوا به ، وبلغ من عنايته "المفضل الضبي" به أن صدر مفضلياته بقصيدة منه مما يدل على مكانته عند ..

كما أورد العسكري شعرا له في الصناعتين ، وله شعر في حماسة الخالدين - وفي غير هذه من المصادر ..

(١) الصعلكة والفتوة في الإسلام / أحمد أمين ص ٤٥ .

وهذه إحدى قصائد تأبط شرا⁽¹⁾ :

وقالوا لها لا تتكحيه فإن الله

لَأَوَّلِ نَصْلٍ أَنْ يَلَاقَى مَجْمَعًا (٢)

فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيٍ فَتِيلًا وَحِزَابًا ذَرَّتْ

تَأْتِيهَا مِنْ لَابِئِ اللَّيْلِ أَرْوَعا (٣)

قليل غرار النوم أكبر هم

دُمُ الثَّارِ أَوْ يَلْقَى كَيْمًا مَّقْنَعًا (٤)

قليل ادخار الزاد إلا تَعْلَمَ

وقَدْ نَشَرْنَا الشُّرُوفَ وَالتَّصَقَّ الْإِمْعَا (٥)

يَبَيِّنُ بِمَعْنَى الْوَحْشِ حَتَّى الْفَنَاءِ

وَيَصْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعًا (٦)

(١) القصيدة في الأغاني (دار) ١٤٥/٢١، وشعر تأبط شرا ص ٩٢.

• 1 •

(٢) لأول نصل : أى يموت لأول ضربة سيف + والمصدر المثل بسد

من نصل : أى يموت لأول لقاءه جمعاً من المغييرين .

(٣) القتيل : الخيط في شق النواة والقيل والتغير والتغيير والتغيير : كثير
بها المثل في حقارة الشيء وعدم نفعه ولا يمس الليل : كثير

الغارات ليلاً، وقيل هو كناية عن الحذر، ^١ روع : ذكـى

(٤) غدا : النوم : النوم الخفيف • الكمي : الشجاع • المقنع : الملثم

الذى يلبس القناع •

(٥) الشر سوف : الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن . المعى :

(٦) مغني الوحش : مقامه .

(۱۷) ملکی اعراس

وَأَيْنَ قَتَى لاصِيدٍ وَحَشَّ يَهُمُّهُ
 فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحَتْهُ مَعَا
 وَلَكِنْ أَرِيَابُ الْمَخَاضِ يَشْقِيهِمْ
 إِذَا اقْتَقَدَّ وَهُ أَوْ رَأَوْهُ مَشْيِعًا (١)
 وَإِنِّي وَلَا عَلِمَ لَأَعْلَمُ أَنْتَ
 سَأَلَقَى سِنَانُ الْمَوْتِ يَرْشُقُ أَضْلَعًا (٢)
 عَلَى غُرَّةٍ أَوْ جِهْرَةٍ مِنْ مَكَائِرِ
 أَطَالَ نِزَالَ الْمَوْتِ حَتَّى تَسْمَعَهَا (٣)
 وَكَتُّ أَظُنُّ الْمَوْتَ فِي الْحَقِّ أَوْ أَرَى
 أَلَدَّ وَأَكْرَى أَوْ أَمُوتَ مَقْتَعًا (٤)
 وَلَسْتُ أَبْيْتُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى قَتَى
 أَسْلَبُهُ أَوْ أَذْعُرُ السَّرَّابَ أَجْمَعًا (٥)
 وَمَنْ يَضْرِبُ الْأَبْطَالَ لَا يَدَّ أَنْ
 سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضَرَعِ الْمَوْتِ مَضْرَعًا

- (١) أرياب المخاض : أصحاب الإبل الحوامل • يشقهم : يؤرقهم ويكد عيشهم ويهزلهم • مشيما : ذاهبا في رحلة •
 (٢) سنان الموت : أى الموت نفسه • وقد شبهه بالسلاح • يرشق أضلعا : يرمي أضلعه •
 (٣) غرة : غفلة • مكائر : كثير الغارات • يعنى نفسه • تسمع : فنى وذهب •
 (٤) فى الديوان : فكيفه • أكرى : أزيد • المقتع : من يلبس الخوذة على رأسه •
 (٥) أسليه : استولى على كل ما معه من مال ومتاع ••

يَمَّا صَعَهُ كُلُّ شَجْعٍ قَوْمًا
وَمَا ضَرَبَهُ هَامُ الْعِدَا لِيُشَجَّعَا (١)

المناسبة :

قال "تأبط شرا" هذه القصيدة بعد أن خطب امرأة فأردت أن تتزوجه ، ووعدته بذلك ، فلما جاءها وجدها قد رغبته عنه فقال لها :
ما غيرك ؟

فألت : والله إن الحسب الكريم ، ولكن قوبى قالوا : ما تصنعين
برجل يقتل لأول نصل ، وتبقيين بلا زوج ، فأنصرف عنها وهو يقول هذه
القصيدة .

ويتحدث فيها عن ثلاث طوائف من هؤلاء المالة كان يوجه إليهم
غزواته : أصحاب المواشي ، وأصحاب المزارع الخصبة ، وأصحاب النوق
الحوامل .

شرح الأبيات :

لقد عرف الناس عن تأبط شرا أنه مغامر يستهين بالموت ، فهو
معرض له بين الحين والآخر حتى إنهم نصروا الفتاة أن ترفض
الزواج منه ، حتى لا تتأيم سريعا بمجرد أن يصيبه أول سهم من جماعة
يلاقيه .

إن الفتاة لم تعرض الزواج التفاتاً لأنها خشيت هذا التأيم .

(١) يَمَّا صَعَهُ : يجالده ويقاومه . لِيُشَجَّعَا : أى لا يقال إنهم
شجاع .

ويتحدث الشاعر عن نفسه فهو الحذر اليقظ الذي حين ينسام
لا يستغرق في نومه بل إنه يكون إلى اليقظة أقرب ، وكيف يستغرق في
النوم وأكبر همه الثأر الذي يتطلب يقظة وحذراً ولا سيما أنه يلقي
شجعانا صناديد بواصل لا يسي الدروع مقنعين . . . وإذا لم يطلبهم
فلأنهم يطلبونه .

وإنه لا يدخر زاداً ولا يريد منه إلا ما يسد به رمقه ويتعلل به
وقد ظهر أثر الجوع في جسده وأضلعه حتى برزت رءوس الأضلاع
والتصقت بطنه بظهره لخلوها من الطعام .

وبعد أن تحدث عن طعامه وطريقته في الأكل أخذ في الحديث
عن موطنه الذي يخيش فيه فذكر أنه يبني في المكان الذي يبني فيه
الوحش لدرجة أن الوحش ألفته لطول عيشه بينها مسالماً لها
فأنست به وأطمأنت إليه وهو لا يمتعها من الرعي فهي لا تخافه
لأن هبته مصروفة إلى غيرها . وهذا ما يدل على قوة ثباته .

وإذا كانت الوحش تأنس به فإن أرباب الإبل الحوامل يخشونه
على إبلهم فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه أو حين يرونه
مشيعاً إلى رحلة .

وهذه إحدى الطوائف التي يغير عليها (أصحاب النوق الحوامل)

ويقول :

إنني على يقين من أن الموت أمر لا مفر منه وإنني مهما عشت
فلا بد أن ألقى سنانة ترمي أضلعي وتودي بي . وقد يكون ذلك على
حين غفلة أو جهارا . . . حينئذ ينال الموت من فارس أكثر من الإغارة

والغزو وعشيق نزال الأبطال حتى ولّى أكثره .
وقد كنت أعدّني ميتاً ما لبثت في الحي أو في موطن من المواطنين
حتى أخرج للغزو فالتذّبه وأزيد متعة أو أموت وعلى رأسى
البيضة (الخوزة) .

وإنه لا يترى لأتاس بعينهم ، ولكنه يتعرض لكل من يسوقه
حظه العاثر النكد إلى منطقة ترصه ، وهو لا يقر له قرار ، ولا يرتاح
له بال إلا إذا أصاب فردا يسلبه كل ما معه ، وإلا فهو يغير على
سرب من الوحوش فيصيده ، فحياته بين صيد وقنص .

وإنه ليتوقع ان سوف يلقى مصرعه يوماً ، فمن الطبيعى أن السدى
يطّارد من أعداء كثير لا بد أن ينالوه يوماً . ولكأنى به يلتبس العذر
لتلك الفتاة في رفضها الزواج من رجل هذه نهايته — وقد تكون قريبة .
وفي النهاية يؤكد فتوته وقوته ويسالته حين يذكر أن أعداءه
يشجعهم أقوامهم ويقفون من خلفهم ، أما تأبط شرا فإنه لا يقرب
هام أعدائه بخية قول القوم عنه إنه شجاع ، فذلك أهون شئ ، عنده .
وقد يكون المعنى : إن أقوام خصومه يشجعونهم ويساندونهم ، أما هو
فيعتقد وحده في وجه هؤلاء ولا يحتاج إلى سند أو معين .

التعليق :

حين تقرأ هذه القصيدة تشمر أن اضطراباً قد أصاب ترتيب
الآبيات فيها ، وهذا راجع إلى الرواة ، فالقصيدة قد وردت في الأغاني
وفي الحماسة ، وفي الديوان والترتيب مختلف في كل منها عن الأخرى .

وترتيبها في الأغاني - فيما أرى - أقرب إلى حقيقتها التي
تطوق بها الشاعر، وأدنى إلى الوحدة العضوية، وإلى الواقع أيضا .
ولننظر مثلا - في ختام القصيدة فنجدها ختمت في الأغاني بهذا
البيت :

وَمَنْ يَضْرِبُ الْأَبْطَالَ لَا يَدُ إِلَى نَفْسِهِ
سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعًا
فهو بمثابة قفل محكم للقصيدة، ويتفق مع الواقع، فنهاية الحياة
الموت وعلى الأبطال - أمثال تأبط شرا - أن يتوقعوا القتل على يد
أحد أعدائهم، وكأنه - كما ذكرت - يعود إلى يد القصيدة، ويلتمس
عذرا لتلك الفتاة التي إن تزوجته ستأثم اليوم أو غدا .

خصائص شعر تأبط شرا

حين نتحدث عن شعر تأبط شرا فإن الحديث يكون عن جزء من
شعر الصعاليك، ذلك الشعر الذي اتسم بسمات معينة تميز بها عن
سائر الشعر الجاهلي . .
وهذه الخصائص وإن اشترك فيها الصعاليك إلا أن درجات شيوع
خاصية من الخصائص تتفاوت فيما بينهم قلة وكثرة، وهذا أمر بداهي
فالبينة وإن كانت واحدة إلا أن الشخصيات متميزة متفاوتة .

ومن خصائص شعر الصعاليك :

١ - غلبة المقطوعات على شعرهم . وهذا يتلاءم مع طبيعته
حياتهم، وظروف عيشهم، فهم مشغولون بالإغارة والحرب، وليس

عندهم وقت لتطويل قصائدهم .

وقد يكون هذا الشعر ناقصا ، بسبب عدم اهتمام قبائل الصعاليك بحفظ ورواية هذه الأشعار .

وأطول ما "لتأبط شرا" قصيدتان ، إحداهما في رثاء "الشنقري" وهي سبعة وعشرون بيتا ، والثانية — وهي قافية — ستة وعشرون بيتا .

٢ — الوحدة الموضوعية . فمن اليسير وضع عنوان للقصيدة يدل عليها من بدايتها إلى نهايتها ، فالقصيدة ذات موضوع واحد ، وليس فيها مقدمة طلبية ، بخلاف الشعر الجاهلي فالقصيدة فيه متعددة الموضوعات .

٣ — شيوخ الألفاظ الغريبة .

فالنظر في شعر الصعاليك يشعر — أحيانا — أنه أمام مجموعة من الطلاسم اللفظية ، يضطر إزاءها الرجوع إلى الساجم اللغوي المطولة . (١)

وهناك ألفاظ لم يعثر عليها اللغويون إلا في شعر الصعاليك ولعل أكثر الصعاليك إغرابا "تأبط شرا" . يقول ابن منظور (٢) : إن "الخَيْعَابَةَ" بمعنى الردى لم يسمع إلا في قول "تأبط شرا"

(١) الشعراء الصعاليك / يوسف خليل ص ٣١١ .

(٢) اللسان (خعب) .

ولا خَرَجَ خَيْمًا بَيَّةً ذِي غَوَائِيهِ لِي
 هَيَامٌ كَجَفْرِ الْأَبْطَحِ الْمَتَعِيِّ لِي (١)
 ويذكر ابن سيدة أنه يقال رجل ثَرْعِيَّةٌ لمن صناعته وصناعة آباءه
 الرعاية، أما ثَرْعِيٌّ بغير هاء فإنه نادر، وقد ورد في قول تأبط شراً (٢):
 ولستُ بِثَرْعِيٍّ طَوِيلٍ عَشْرًا
 يُؤْتَفُّهَا مُسْتَأْنَفُ النَّيْتِ مِيهِ لِي
 ود يوانه مليء بهذه الألفاظ الغريبة... ولذلك زخرت كتب
 اللغة والمعاجم بشعره.

٤ - الواقعية... وهي من سمات الشعر الجاهلي عموماً
 والصعاليك خصوصاً.
 ومن مظاهر هذه الواقعية:
 ١ - أن شعرهم بمثابة مذكرات شخصية، دون كل منهم فيه
 خواطره، دون تزييف، ولا مبالغة، فشعرهم صورة لحياتهم بغيرها
 وجوعهم، وهزالهم، وهوانهم على الناس.

(١) اللسان / خعب / والخرع : السريح التثني والانكسار . خيعابيه :
 الرديء أو القبيح المتكسر، وقيل المأبون . الأبطح : مكييل
 واسع فيه رفاق الحصى . المتهيل : شديد الانحدار .
 (٢) اللسان / رعي : يؤتفها : يتتبع بها أنف المرعى . ميهل :
 تارك يله مهمل إياها .

ب - ظهور الخبرة العملية في شعرهم (١) . فحين يتحدثون عن الحيوان - مثلا - فحد يشهم حديث الخبير ، ومن هنا اعتمد أصحاب كتب الحيوان - كالجاحظ - على شعرهم في هذا الصدد .
"تأبط شرا" حين يصف الحية يذكر أن خروجها يكون "يعتد غروب الشمس" وهو تحديد دقيق لوقت خروج الأفاعي من جحورها . تؤيد الخبرة العملية ، وهذا ليس بغريب عليه ، فهو مضطر إلى ملاحظة هذه الظواهر ، وقد قيل له (٢) : "هذه الرجال غلبت بها فكيف لا تنهشك الحيات في شراك ؟ فقال : إني لا أسرى البرد يسن يعني أول الليل لأنها تمور خارجة من جحرتها ، وآخر الليل تمور مقبلة إليها "

ج - الدقة في التعبير (٣) : بحيث تكون العبارة واضحة محددة تحديدا لا غموض فيه ولا التواء . فحين يعتذر "تأبط شرا" عن قراره من أعدائه مخلقا صاحبه لهم نداء يفتح البسالة وضعيا "حسايبا" فمأذا يفعل وقد نظر فإذا هؤلاء الأعداء أكثر من ثلاثة أمثالهما ؟ ولو أنهم كانوا مثلها أو ثلاثة أمثالها ما فر مخلقا صاحبه لهما :

(١) راجع الشعراء الصماليك / يوسف خليف ٢٨٧ + ٢٨٨ .

(٢) الأغاني ١٣٠ / ٢١ (دار) .

(٣) الشعراء الصماليك ص ٢٨٤ .

تقول : تركت صاحباً لك ضائعاً (١)
وجئت إلينا فارقاً متباطئاً
إذا ما تركت صاحبي لثلاث
أو اثنين مثليتنا فلا أبت أمناً

• - عدم التزام التصريح • وهي ظاهرة تو شك أن تكون مطردة
في كل شعرهم •

ويعلق الدكتور يوسف خليف لذلك قائلًا : (٢)
"وتعليقها عندى يرجع إلى تلك الثورة التي كانت تجيش بها
نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعيهم • وإلى تلك الحرية التي كانوا
يعيشون فيها والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعيهم • • • فكان
شعرهم نائراً على الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القليل •"

(١) الأغاني ١٣٥/٢١ فارقا متباطئًا : فارقت وجئت متخفياً • وفي البيت الثاني : يدعو على نفسه إن كان ترك صاحبه كعدد قليل ، وإنما هو جمع لا قبل لهما به •
(٢) الشعراء الصعاليك ص ٢٧٢ •

٣- من المشكوك فيه : الخنساء

الخنساء (٨)

هي : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد . من بني سليم
ابن منصور .
شاعرة مخضرة عاشت في الجاهلية والإسلام ، وفدت مع قومها
فأعلنوا إسلامهم أمام الرسول " صلى الله عليه وسلم " . وعاشت
إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .
ومعظم شعرها قالت في الجاهلية في رثاء أخويها . ومن هنا
ينسبها بعض النقاد - قنياً - إلى العصر الجاهلي ، ومن هؤلاء :
ابن سلام وابن قتيبة .
ولها أخوان مشهوران حَظَّيا بمراثيها وهما : صخر - غير شقيق ،
ومعاوية أخ شقيق .

وكان معاوية " سيد قومه " صديقاً " لدريد بن الصبة " الشاعر
الفارس ورأى " دريد " الخنساء فأعجب بها ، فطلبها إلى أخيهما
معاوية ، فعرض الأمر على الخنساء فقالت : أتراني تاركاً بني عمي

(٨) راجع / أسد الغابة ٨٨/٧ وما بعدها ط الشعب الإصابتة
٧٤/٨ ، الاستيعاب ١٨٢٧ ، الشعر والشعراء ٣٤٣ ، الأغاني
١٥ ، ٧٦ ، جمهرة أنساب العرب / ابن حزم ٢٦٢ ، طبقات ابن
سلام ٣٠٣ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة (الخنساء) ، الخنساء
د / بنت الشاطئ ، ص ٢٣ ، الخنساء شاعرة بني سليم د / محمد
جابر الحيني ، دراسات في الأدب العربي / غوستاف فون برتياوم
ط بيروت ص ١٣٧ ود يوانها : تحقيق د / عوضين ، مطلع القصيدة
العربية د / عبد الحلیم حفني ، أعلام النساء / عمر رضا كحالة =

مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد ١١١
وتزوجت رجلا من قومها ، وكان مقامرا سكراناً متلافاً للمال ، لسم
يبقى لبيته شيئا . . . حتى هم بالرحيل للحصول على مال ، وحينئذ
جاءت الخنساء صخرًا فشطرت ماله شطرين . . . وتكررت القصة مرة أخرى
ففعل صخر مثلما فعل في المرة الأولى ، فقالت له امرأته : أعطها أخس
مالك فقال : (١)

والله لا أنجحها شرارها . . . وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت مزقت خمارها . . . واتخذت من شعر صدارها
وقد وفيت الخنساء كأحسن ما يكون الوفاء ، فكانت عند حسن ظن صخر
بها ، ففاز صخر بجمل شعرها في حين لم يحظ أخوها الشقيق
بالقليل .

منزلتها عند النقاد :

- * جعلها "ابن سلام" في الطبقة الثانية بين أصحاب المرائي مقدا عليها : متم بن نيرة ، وقد مها على أعشى ياهلينة وكعب بن سعد الغنوي . (٢)
- * وقد فضلها الشعبي على نساء الجاهلية أجمع . . .
- * وسألوا جريرا عن أشعر الناس فقال : أنا لولا هذه الخبيثة ، يعنى الخنساء ، فسألوه : بم فضلتك ؟ قال بقولها : (٣)

(=) ٣١٦/١ وما بعدها .

(١) الشعر والشعراء ٣٤٦ ، العقد الفريد ٢٢/١ .

(٢) طبقات ابن سلام ٢٠٣/١ .

(٣) شرح المقامات للشريشي ٢٣٣ .

إِنَّ الزَّيْمَانَ وَمَا تُغْنِي عَجَائِبُهُ
أَبْقَى لَنَا دَنْيَاً وَاسْتَوَصِل السَّرَّاسَ
أَبْقَى لَنَا كُلَّ مَجْهُولٍ وَفَجَعَلَنَا
بِالْحَالَمِينَ فَمَهْمُ هَامٍ وَأَرْمَاسَ
إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا
لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

- * - وقال ابن عبد البر: (١)
"وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قط قبلها ولا بعدها
أشعر منها".
* - وكان بشار يقول: (٢)
لم تقل امرأة شعراً إلا ظهر فيه الضعف قيل له: وكذلك
الخنساء؟ فقال: تلك فاقت الرجال.
وقيل أكثر من ذلك..

من عيون مراثيها التي استجادها النقاد "الرائية" التي ترشى
فيها صخرا:

قَدَى بِعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَسَّارُ
أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ (٣)

(١) الاستيعاب ١٨٢٧.
(٢) الشريش ٢٣٣، وأعلام النساء ٣٠٧/١.
(٣) العوار: وجع في العين. ذرفت: قطرت. قطرتا متتابعاً لا يبلغ
أن يكون سيلاً.

- كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرِهِ إِذَا حَطَّ سَكْرَتِ
فَيُفَضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارِ
تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلِيَهَا
وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ اسْتَبَارَ (١)
- تَبْكِي خُنَاسٌ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَّ سَكْرَتِ
لَهَا عَلَيْهِ رَنِينَ وَهِيَ مُقْتَارَ (٢)
- تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
إِذَا رَابَهَا الدَّهْرُ إِنْ الدَّهْرُ ضَرَارِ
لَا يَدُ مِنْ رِيَّتِهِ فِي صَرْفِهَا عِبَرِ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارَ (٣)
- بِدَايَةِ تَحْسٍ قَلْقًا وَتَرْدًا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ التَّسَاوُلَاتِ فِي مَطْلَعِ
الْقَصِيدَةِ ... لِمَاذَا هَذِهِ الدَّمُوعُ ؟ أَيْنَ قَدَّى بِالْعَيْنِ ؟ أُمُّ لَعْوَارِ
بِهَا ؟ أُمُّ لِقْفَارِ الدَّارِ وَخُلُوعِهَا مِنْ أَهْلِهَا ؟ ..
وَتَأْتِي الْأَجَابَةُ الْمَحْدَّةُ لِسَبَبِ الدَّمُوعِ ..
- إِنَّ الْبِكَاءَ بِسَبَبِ ذِكْرِ صَخْرِهِ تِلْكَ الذِّكْرَى الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الْعَيْنِ
"فَيْضًا يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارًا" وَهَكَذَا كَانَتْ دُمُوعُهَا مُتَدَفِّقَةً
مُسْتَمِرَّةً مُسْتَدِيمَةً ... وَتَعُودُ فَتُؤَكِّدُ الْبِكَاءَ بِتَكَرُّارِ لَفْظِ "تَبْكِي لِصَخْرٍ"
- (١) الْعَبْرَى : الَّتِي لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا . الْوَلَهْ : مَا يَصِيبُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ
مِنْ شِدَّةِ الْجُزَعِ عِنْدَ الْمُسِيبَةِ .
(٢) الرَنِينَ : الْبِكَاءُ . الْمَقْتَارُ : الَّتِي أَصَابَهَا فَتْرَةٌ أَيْ ضَعْفٌ .
(٣) عِبَرٌ : اعْتِبَارٌ . حَوْلٌ : أَيْ يَحُولُ وَيَتَقَلَّبُ بِأَهْلِهِ وَيَخْتَلِفُ . أَطْوَارُ
أَيْ طُورٌ كَذَا وَطُورٌ كَذَا .

وكأنها تجيب على من يسألها : لماذا هذه الغزارة في الدموع ؟
فتجيب : إنه صخر — الذي جعلها "عَبْرَى" أى لاتجف عينها من
الدموع "وليلة" أى جزعة من شدة مصيبتها .

وهي متأكدة موقنه أن هذا البكاء لا يجدى شيئا ، فـ قد وورى
صخر التراب ، ولكنه ليس كأى تراب ، إنه تراب جديد . . . فما تلك
الجدّة ؟ إن التراب يخفى ويوارى ، ولكن هذا التراب فريد فـ قد
وارى صخرا . . . وما أدراك ما صخر !!!

والباكية هي "خناس" وستظل باكية طول عمرها ، صارخة ، نائحة
وقد أصيبت بضعف وانكسار . . . وكيف لا تبكى ؟ وكيف لاتضعف ؟ . . .
والمبكى هو "صخر" الذى أصابها الدهر فيه ، كما ألحق بها الضرر من
قبل ، وهذا شأنه معها .

وما دام الدهر — وتلك حقيقته — ضارا فإنه لا بد أن يختصمها
وقومها بميتة فيها العبر والمجائب ، ولاغرو فإن من صفاته التحول
والتقلب ، فلا أمان له .

وهكذا كان ختمها لهذا المقطع من القصيدة بتلك الحكمة
التي استوحيتها من آلامها وأحزانها في الأبيات السابقة .
ثم تقول :

قد كان فيكم أبو عمرو يسود كيم

نعم المعهم للدا عيون تصّسار (١)

(١) المعهم : المسود الذى سوده قومه ، وقلدوه أمرهم . أبو عمرو :
إحدى كُنى صخر .

صَلْبُ النَّحِيْزَةِ هَ وَهَابٌ إِذَا مَنَعُوا

(١) وفي الحروب جرى الصَّدْرُ مَهْصَارُ
يا صخر وَّزَادَ ماءٌ قد تَنَزَّاهُ

(٢) أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عِبَارُ
مَشَى السَّيْنَتَى إِلَى هَيَّجَاءٍ مُّغْضَلَةٍ

(٣) لَهُ سَلَاخَانُ أَنْيَابٍ وَأَظْفَارُ
ومن فعل الدهر أنه جعل صخرًا في خير "كان" هَ وصار يُعْبَرُ

عنه بهذا الفعل الذي يدل على الماضي مما يستدعي التحسُّرَ
والتألم على هذا الذي كان سيداً لقومه هَ وصاحب التاج فيهم هَ يغيث
الملهوف هَ ويفرج المكروب هَ ذا طبيعة صارمة هَ صلبة هَ منيعة هَ جوادا
كرهما حين يعز المعطاء هَ ويمتنع على الناس هَ وهو الشجاع ذو البأس
الذي تعود الغلبة على أعدائه هَ

وإنه "لوراد ماء" أي كثير ورود الماء هَ وهذا الماء يصعب على
غير صخر أن يصل إليه هَ وإنه لن يُعَيَّرَ هذا المأجز عن عدم تمكنه
من الوصول - لأن الماء يصعب ورود هَ بل يكاد يكون مستحيلا هَ غير

- (١) صلب النحيزة : قوى الطبيعة • مهصار : يهصر الأعناق ويدقها •
(٢) وزاد : كثر الورد • تنأذره : أي أنذر بعضهم بعضا هو له
وصعوبته ما في ورد هَ عار : أي ليس من عيب هَ عار يلحق من عجز
عن ورد هَ
(٣) السينتي : النمر الجري هَ

أَنَّ صَخْرًا وَرَدَّهٗ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فَرْدًا عَادِيًا • وَلَمْ يَرَدْ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا مَرَّتَيْنِ
وَإِنَّمَا وَرَدَّهٗ كَثِيرًا وَقَدْ اسْتَفَدْنَا ذَلِكَ مِنْ صِيغَةِ الْمِبَالِغَةِ "وَزَادَ" •
وَتَصَفَّ خُرُوجَهُ إِلَى مِيدَانِ الْوُغَى ، فَهُوَ يَخْرُجُ إِلَيْهَا مُنْدَفِعًا كَالنَّمْرِ
الْجَرَى الَّذِي لَا يَأْتِيهِ بَشَى • وَلَا يَلْهِى عَلَى شَيْءٍ ، نَفَاقِيَّتُهُ وَاحِدَةٌ هِيَ
الدَّخُولُ فِي حُومَةِ الْوُغَى ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ صَارَ هَوَايَةً لَهُ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ
شَدِيدَةً شَرَسَةً وَلِذَلِكَ تَسَلَّحَ بِسِلَاحِينَ : أَنْيَابَ وَأُظْفَارَ •

وَيَأْتِي الْمَقْطَعُ الثَّالِثُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّذِي يَمَعِدُ وَاسِطَةُ الْعَقْدِ فِيهَا
فَقَدْ بَرَعَتِ الْخَنَسَاءُ فِيهِ بَرَاعَةً فَائِقَةً يَنْظُرُهَا الْفَاحِصَةُ الْمُتَأَمِّلَةُ الْمُتَعَمِّقَةُ
لِذَلِكَ "الْبَيَّ" وَحَيْرَةُ أُمِّهِ وَحَزْنُهَا وَصَدْمَتُهَا حِينَ تَكْتَشِفُ الْحَقِيقَةَ
فَتَقُولُ :

وَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تُطِيفُ بِـ_____

(١) لَهَا حَنِينَانِ : إِعْلَانٌ وَإِشْرَارٌ

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَكَ رَتَّ

(٢) فَاثْنَا هِيَ : إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

لَا تَسْمُنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعَتْ

(٣) فَإِنَّمَا هِيَ تَخْنَانٌ وَتَسْجَارٌ

(١) الْمَعْجُولُ : الَّتِي يَمُوتُ وَلَدُهَا صَغِيرًا • الْبَيَّ : أَنْ يُنْحَرَ وَلَدُ
النَّاقَةِ فَيَأْتُونَ بِجُلْدِهِ وَيَحْشُونَهُ وَيَضْعُونَهُ بِالْقَرَبِ مِنْ أُمِّهِ حَتَّى تَدَبَّرَ •

(٢) تَرْتَعُ : تَرْجِي •

(٣) يُقَالُ حَنَّتِ النَّاقَةُ : إِذَا طَرَّبَتْ فِي لَبَنٍ وَلَدُهَا ، فَإِذَا مَسَدَتْ
الْحَنِينَ وَطَرَّبَتْ قَبِيلَ سَجَرَتِ •

يَوْمًا بَأْوَجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتَنِي

صَخْرٌ وَلَدَ هَرِجًا وَابْنٌ سَرَارٌ

وهي تريد أن تريتنا «بلغ حزننا لشدة ما أصابها» فاختارت من البيئة ما يبين حدود هذا الحزن «إنها صورة تلك الناقة «الكلبي» التي صارت «عجولا» لأنها فقدت وليدها وهو صغير» و«جاءوا بجلده» محشوه قشرا أو «أشبهه» وأدناه من أمه حتى تدرك عليه «وتجئ الناقة الأم تطوف حول ابنها وتتشممه فلا تجد فيه حياة» فتتصدم وترتاع وتحزن حزنا شديدا «فتأخذ في ترجيع الحنين مرة في صوت خفيض أو غير مسموع وإنما هو محسوس ربما بالرؤية ومرة بصوت عال ... ويعاودها الحنين وتتناسى صدمتها الأولى فتعود إلى البؤس - بعد ما رتعت ثم اذكرت - لتتصدم مرة ثانية «وتظل - هكذا - بين الإقبال والإدبار» فيتضاعف حزنها «ولو أنها ظلت عمرها آكلة من عشب جيد وفير ما أستمها» لأنها صارت هي الحنين يعينه على صورتين - مرة قصيرا «وأخرى طويلا (فإنما هي تحنان وتسجار) .

أرأيت إلى هذه الناقة وبلغ حزنها «وتوالى صدماتها وتتابعها ...» إنها ليست بأشد حزنا من الخنساء على أخيها صخر الذي فجعها فيه الدهر الذي ما يسعد إلا وأشقى «وما يحلى إلا وأمر» وفي هذا المقطع تحس موسيقى جميلة هي من سمات شعير الخنساء .

فإذا نظرنا إلى هذه الشطرات اثنتين اثنتين تبين لنا ذلك

له سلاحان أنياب وأظفار
لها حنينان إعلان وإسرار

ثم قولها :

فإنما هي إقبال وإدبار
فإنما هي تحنان وتسجار
وللدهر إحلا وإمرار

وبعدهما :

ثم في المقطع التالي :

وإن صخرا إذا نشئتو لتَحَار
وإن صخرا إذا جاعوا لَعَار
هذا التتابع في الثنائية بالصيغتين "إفعال وإفعال" يدل على
مقدرتها الموسيقية الغضة التي خلقت جوا يتناسب مع أحاسيسها
ومشاعرها .. فالصيغ المستعملة تدل على تكرار المصائب وتوالي
الأحزان وتتابعها بصورة سريعة ناسبها هذا الإيقاع .
يضاف إلى ذلك التضاد بين المعطوفات والمعطوفات عليها
(إعلان - إسرار، إقبال - إدبار، تحنان - تسجار، إحلا - إمرار)
إمرار

وقد ذهب أحد النقاد^(١) إلى أن الخنساء "أضعفت الصورة
بالجملة الأخيرة التي وصفت بها الدهر بأنه متقلب يصفو فيكون حلوا
ويعتكر فيكون مرء بين الواضح أن هذه الجملة "وللدهر إحلا وإمرار"
(١) الدكتور / محمد جابر الحيني في كتابه / الخنساء شاعرة بنى سليم .

ضعيفة الصلة بالصورة الشعرية ، ومن ثم فإن الضرورة هي التي اضطرت الشاعرة إليها لتكمل المصراع الثاني في البيت ، فأفسدت جانباً من جمال الصورة ، وهذا خطأ لا يغتفر للخنساء .
وأنا لا أوافق على ذلك .

فلو رجعنا إلى نهاية المقطع الأول لوجدناه (والدهر في صريره حول وأطوار) وربطت بينه وبين ما تلاه بقولها "قد كان" ، والدهر هو الذي تسبب في ذلك واضطرها إلى الحديث عنه بصيغة الماضي "كان" ، ثم أخذت في نعتة ، وبينت مدى حزنها في المقطع الثالث عن طريق "البؤ" وختمت المقطع بقولها "وللدهر إحلاء وإمرار" مما يدل على أن فعل الدهر بها لا يزال في ذهنها طوال القصيدة ، وكيف لا وهو مسبب حزنها - كما كان هو نفسه سبباً في حزن الناقة ؟
ثم إن الشطرة الأولى (يها بأوجد متى يوم فارقتي . . صخر) سوغ لتلك الجملة "وللدهر إحلاء وإمرار" لأن سبب الفراق هو الحسرة التي أنزلها الدهر ، ذلك الدهر الذي من طبيعته تلك المفارقات والمتناقضات . . ألم يكن صخر بالأمس بينما هو سبب سعدنا وميشت فخرنا وتيهنا ! ! ! ها هو قد صار سبب حزننا . . .
ومن هنا فإنني أرى أنها وثقت كل التوفيق في ختم المقطع بهذه الجملة التي لها علاقات قوية بالمقامين السابقين ، وهي ركن في المقطع الأخير .

خصائص شعرها :

- وهذه القصيدة تصور لنا فن الخنساء ومنهجها الشعري ..
- فإلى جانب التتابع المذكور آنفاً نجد فيها التكرار والتفصيل ..
- * - والتكرار له أهداف ترمي إليها الشاعرة .. والهدف هنا تعظيم شأن المرثى وبيان منزلته .. وهي إذ تكرر الفعل "تبكسى" ثلاث مرات كأنها تعجب من سوء حالها بفقد أخيها صخر ..
- * - ولانقتص التكرار في شعرها على الألفاظ بل إن مطالع قصائدها تتسم بهذا التكرار مثل قولها :
- (يا عين جودي بالدموع - يا عين جودي بدمع .. عيني جسد ا بدمع .. الخ. يتكرر المطع في عدة قصائد ... وللنقاد وجهات نظر متباينة في تفسير هذا التكرار^(١))
- * - وقد عنيت الخنساء بالجانب الموسيقي في شعرها ، فكثير التصريح في مطالع القصائد ودخلها مما يدل على غرامها بالموسيقى عموماً ..

(١) راجع مثلاً : مطلع القصيدة العربية د / عبد الحليم خفني ص ٢٣٣ وما بعدها ، والخنساء / لبنات الشاطي ص ١١٢ ، والخنساء شاعرة بنى سليم للدكتور / الحيني ص ٢١٢ ، وقراءة في الأدب القديم للدكتور / محمد أبو موسى ص ١٠٥ .

وقد وظفت الخنساء الموسيقى توظيفاً جيداً يتناسب مع حالتها
النفسية وقت إنشاء القصيدة ، وأكثر من استعمال التصرع فاشتهرت
به وذلك مثل قولها : (١)

جَمَّ فَوَاضِلُهُ تَنْدَى أَنَامِلِهِ
كَالْبَدْرِ يَجْلُو وَلَا يَخْفَى عَلَى السَّارَى
رَدَادُ عَارِيَةٍ فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ
كضَيْغَمٍ بِأَمْلِي لِلْقَرْنِ هَمَّارٍ
جَوَابُ أُرْدِيَةٍ حَمَالُ الْوَيْدِ
سَمَحَ الْيَدَيْنِ جَوَادُ غَيْرِ مُقْتَارٍ

(١) ديوانها ص ٦٠ و ٦١ .

الباب الثاني
النَّشْرُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ

النثر في العصر الجاهلي (*)

ونقصد بالنثر : النثر الفني ، وهو الكلام الذي يخضع لقوانين معينة ، بحيث تكون أفكاره منظمة ، معروضة عرضاً جذاباً ، حسن الصياغة ، جيدة السبك ، جارية على قواعد النحو والصرف ، فإن اختلفت هذه الشروط أو بعضها فلا يسمى نثراً فنياً ، ولا يعني به الأدب .

وهذا النثر الفني منه ما عمده القلم وهو ما يسمى بالكتابة الفنية ، ومنه ما عمده اللسان مثل الخطابة .

أما الكتابة الفنية فليس هناك من الوثائق الجاهلية ما يدل على أن الجاهليين قد عرفوها . وهذا لا ينفي معرفتهم الكتابة ، بل إنهم عرفوها ، ولكن نظراً لقلّة عدد الكتّابين فقد استخدموها في الأغراض السياسية والتجارية .

وأما النثر الذي عمده اللسان فقد عرفه العرب ، إذ كانت لهم مجالس تسمّى يتجاذبون فيها أطراف الحديث ، ويتطرقون فيها إلى أمجاد القبيلة ومفاخرها ، وكان فيهم الكثير الذي يملك ناصية القول فيعرض ما يروق له ويمتّع السامعين بأسلوب أخاذ .

ولعل هؤلاء النثرين كانوا أكثر عددًا من الشعراء ، غير أنهم لم يصلنا من هذه المجالس والمسامرات ما يقفنا على خصائص تلك المحاورات والمسامرات ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن النثر لم يحفظ من اهتمام الجاهليين بالقليل مما حظي به الشعر .

راجع : التوجيه الأدبي ص ١٤ ، العصر الجاهلي ٣٩٨ في الأدب الجاهلي / علي الجندی ٢٥٨ الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ٥٨

"فهذا" قس بن ساعدة "خطيب العرب وقاضى خطبائها فى عكاظ ليس له إلا هذه الأسطر القليلة من خطبة لو لم يشهد هذا رسول الله ما تناقلها الرواة وما اتصل خبرها بنا إلى اليوم" (١) لقد شغل العرب عنه بالشعر لا ستطرافهم له ، وغلبته على عقولهم ولوقائه بما حرصوا عليه من تقييد آثارهم ، وتخليد مناقبهم وآياسهم ، حتى مست الحاجة فى ذلك الوقت إلى من يتخصص فى حفظ أنساب القبائل والاحتياط لما يفوت على الكافة من جملة أخبارهم فنشأت طبقة النسابيين . . . (٢)

وقد ورد فى طبقات الكتب أنواع من النشر الجاهلى منه :
الخطبة الحكمة ، الأمثال ، الوصايا ، المفازات والمناقرات ، سجع الكهان .

١ - الخطابة :

هى فن مخاطبة الجمهور الذى يعتمد على الإقناع والاستمالة . .
دواعى الخطابة فى العصر الجاهلى .
هناك دواع خاصة بالعرب الجاهليين دعت إلى بلوغ الخطاب درجة من النضج والكمال .
ومن أهم هذه الدواعى :

(١) ٢) الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ص ٦٦ ، ٦٧ .

- * - الاستعداد أو القطري ، فلكذا البيان متأصلة فيهم ، وقد افتخروا بذلك وتنافسوا فيه
- * - حاجتهم الضرورية إلى من يتحدث عنهم ، نظراً لشبوع الأمية بينهم ، مع اضطرارهم إلى التنقل ، فاستعانوا بالخطابة لتقوم مقام الكتابة في عقد المحالقات والمعاملات . . .
- * - بعض القبائل كان حظ الشعر فيها ضعيفاً فاستعاضت بالخطابة عن الشعر في مجال الحماسة والفخر وما إلى ذلك .
- * - شن الغارات لأنفه الأسباب مما يقتضي الدفاع عن النفس والعرض ، ثم إلى الانتقام .

أشهر خطباء الجاهلية

من أشهر خطباءهم :-

- كعب بن لؤي ، وهو الجد السابع للرسول " صلى الله عليه وسلم " من أقدم الخطباء .
- قيس بن خارجه ، خطيب حرب داحس والغبراء .
- قس بن ساعدة الإيادي ، وقد أدركه النبي " صلى الله عليه وسلم " فراء في سوق عكاظ .
- سحيان بن وائل ، الذي ضرب به المثل في القصاحة ، ف قيل " أخطب من سحبان " .
- أكتم بن صيفي ، وقيس بن عاصم - سيد أهل الويس - وكلاهما من تميم .

عاداتهم وتقاليدهم في الخطابة

كان من عاداتهم : أنهم كانوا يخطبون على رءوسهم في الأسواق
العظام والمجامع الكبار ، وكانوا يخطبون وعليهم العمائم ، ويأيدونهم
المخاصر والقنا

وقد عابت الشعوب العربية لاتخاذهم العصي والمخاصر في أثناء
خطبتهم فرد عليهم الجاحظ وكان من رده . . . "إن حمل العصا
والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطراب والإطالة
وذلك شيء خاص في خطباء العرب ، ولقصور عليهم ، ومنسوب إليهم
حتى إنهم ليذهبون في حوارهم ، والمخاصر بأيديهم إلقاء لها
وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها ، والإشارة بها " (١)

ومما مدحوا به الخطيب :

جهازة الصوت ، وسعة الفم . . . "قيل لأعرابي : ما الجمال ؟
قال : طول القامة ، وضخم الهامة ، ورحب الشدق ، وبعد الصوت" (٢)
ومدحوا فيه : ثبات الجنان ، وحضور البديهة ، وقلة التلفت ، وكثرة
الريق .

ومما عابوا به الخطيب : (٣)

(١) البيان والتبيين ١١٧/٣ .

(٢) نفسه ١٢١/١ .

(٣) نفسه ٣٩/١ ، ٤٠ ، ٢٠ ، ١٢١ ، ٥٥٥ ، ٥٦ .

الارتعاش ، والعرق ، وكثرة السعال ، وحساسة اللسان مما يجعل الكلام ثقيلاً ٥٠٠ كما عابوا فيه التثنجح ، والتعثر في الكلام ، والنظر في عيون الناس ٥٠٠ الخ .

نماذج للخطابة الجاهلية :

١ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي في عكاظ

روى الأصفهاني أنه لما قدم وقد إياد على النبي " صلى الله عليه وسلم " قال : " ما فعل قس بن ساعدة " ؟ قالوا : مات يا رسول الله قال : " كأي أنظر إليه يسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه " فقال رجل من القوم : أنسا أحفظه يا رسول الله :

قال : " كيف سمعته يقول " ؟ قال سمعته يقول :

أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، بहार تزخر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وبر وآنام ، ومطعم ومشرب ، ومليس ومركب . مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ وإلوهس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم آوانه ، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه ، ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين م من القرون لنا يصائر
لما رأيت مـكـوـارداً ••• للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ••• يمضي الأصغر والأكابر
أيقنت أنني لا محالاً ••• لـه حيث صار القوم صائر

٢ - خطبة المأمور الحارثي (*)

روى أبو علي القالي بسنده عن أبي عبيدة قال :-

قعد المأمور الحارثي في نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم
ثم فكر طويلاً ثم قال : أرعوني أسماكم وأصغوا إليّ قلوبكم ببلغ
الوعظ منكم حيث أريد طمّح (١) بالأهواء الأشر (٢) وران على القلوب
الكدر (٣) وطمّخت (٤) الجهل النظر .

إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر : أرض موزعة وسماء مرفوعة ،
وشمس تطلع وتغرب ونجوم تسرى فتغرب وقمر تطلعه النجوم
وتحفه أرباب الشهوة عاجز مقره رحول (٥) مكي (٦) وشاب مختصر (٧)

(*) رواه أبو علي "المأمون الحارثي" .

(١) طمّح : ذهب . والطماح : النشوز والأجماع .

(٢) الأشر : كالفرح - : المرح .

(٣) ران : غطي . الكدر : ضد الصفو .

(٤) الطمّخة : تسوية الشيء أو ضم بعضه إلى بعض .

(٥) رحول : شديد الاحتيال .

(٦) كد : قليل الخير - من أكدى الرجل : تهيّل وقيل خيره .

(٧) مختصر : ميت في فتوته . يقال : اختصر الشاب : إذا مات في
شبابه .

وَيَقْنُ قَدْ غَبِرَ (١) ، وَرَاحِلُونَ لَا يَتَوَبُّونَ ، وَسَوْفَ تَقُولُونَ لَا يَنْفَعُكُمْ ، وَمَطْلَعُ
 الْمَرْسَلِ يَقْدَرُ ، فَيُحْيِي الْبَشَرَ ، وَيُورِقُ الشَّجَرُ ، وَيُطْلَعُ الثَّمَرُ ، وَيَنْبُتُ
 الزَّهْرُ ، وَمَا يَنْفَجِرُ مِنَ الصَّخْرِ إِلَّا يَزِيدُ (٢) ، فَيَصْدَعُ الْمَدْرَ (٣) عَنْ أَفْئَانِ
 الْفَضْرِ ، فَيُحْيِي الْأَنَامَ ، وَيَشْبِعُ السَّوَامَ ، وَيُنْعِي الْأَنْعَامَ ، لِمَنْ فِي ذَلِكَ
 لَأَوْضَحُ الدَّلَالِ عَلَى الْمَدِيرِ الْمُقَدَّرِ الْبَارِءِ الْمَصُورِ .
 يَا أَيُّهَا الْعَقُولُ النَّافِرَةُ ، وَالْقُلُوبُ النَّافِرَةُ (٤) ، أَنْتِ تَوَفِّكُونَ (٥) ؟
 وَعَنْ أَيِّ سَبِيلٍ تَحْمِلُهُنَّ (٦) ؟ وَفِي أَيِّ حَيْرَةٍ تَهْمِيهْنَ ؟ وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ
 تُؤَفِّضُونَ (٧) ؟ . . . لَوْ كَشَفْتَ الْأَغْطِيَةَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ الْفُشَاةُ عَنْ
 الْمَيِّتِ ، لَصَرَحَ الشُّكُّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَ الْجَهَالَةِ ، مِمَّنْ
 اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ .

٣ - النعمان بن المنذر يرد على كسرى :

قَدِمَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ عَلَى كَسْرَى وَعِنْدَهُ وَقُودُ الرُّومِ وَالْهِنْدِ
 وَالصِّينِ ، فَذَكَرُوا مِنْ مَلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، فَأَفْتَحَرَ النُّعْمَانُ بِالْعَرَبِ

- (١) الْيَقْنُ : الشَّيْخُ الْكَبِيرُ . غَبِرَ : مِنْ الْأَضْدَادِ - بَقِيَ أَوْ مَضَى .
 (٢) الْأَيَّزُ : الشَّدِيدُ الصَّلْبُ ، وَيُقَالُ : صَخْرَةٌ يَرَأُ أَيُّضًا وَلَا يُقَالُ كَذَلِكَ
 لِنَحْوِ الْمَاءِ وَالطِّينِ .
 (٣) الْمَدْرُ : - مَحْرَكَةٌ - قَطْعُ الطِّينِ الْيَابِسِ .
 (٤) النَّافِرَةُ : الْعِدَاوَةُ ، وَهِيَ لَهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَصْرِ ، أَوْ قَسَى
 الْكَلَامَ حَذَفَ ، أَيُّ نَاتِ الْعِدَاوَةِ .
 (٥) تَوَفِّكُونَ : تُصَرِّفُونَ .
 (٦) تَحْمِلُهُنَّ : تَتَحَيَّرُونَّ وَتَتَرَدَّدْنَ ، وَنَ سَبَبُ الضَّلَالِ .
 (٧) تُؤَفِّضُونَ : تَمْرَعُونَ .

وفضّلهم على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها .
فقال كسرى — وأخذته عزة الملك — :

يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في
حالة من يقدم على وفود الأمم فوجدت للروم حظًا في اجتماع
ألفتها ، وعظم سلطانتها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وإن لها
دينًا يبين حلالها وحرامها ، ويرد سفيهاها ، ويقيم جاهلها .
ورأيت للهند نحوًا من ذلك في حكمتها وطيبها مع كثرة أنهار
بلادها وثمارها وعجيب صناعتها . . . الخ . . .
ثم انتقد العرب قائلا :

ولم أر للعرب شيئًا من خصال الخير في أمر دين ولا دُنْيَا
ولا حزم ولا قوة ، ومع أن ما يدل على مهانتها وذلتها وصغر همتها
مجلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون
أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضًا من الحاجة ، قد خرجوا
من مطاعم الدنيا ولا يسها وشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام
ظفر به ناعمهم لحوم الأبل التي يعاقبوا كثير من السباع لشغلها ، وسوء
طعمها ، وخوف داءها . . . الخ . . . داعاب به العرب .

قال النعمان :

أصلح الله الملك ، حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم
خطيئها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جوابًا في كل ما تنطق به الملك
في غير رد عليه ، ولا تكذب له ، فإن أشنى من غنيته تنطق به .

قال كسرى : قل فأنت آمن

قال النعمان :

أما أمتك أيها الملك فليست تنزع في الفضل ، لموضعها الذي هي
به من عقولها وأحلامها ، وسطة محلها ، وبحبوحة عزها ، وما أكرمها .
الله به من ولاية آباتك وولايتك .

وأما الأم التي ذكرت ، فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها .

قال كسرى : بماذا ؟

قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسرها
وسخاها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها .

ثم أخذ النعمان في تفسير وإثبات كل فضيلة من تلك الفضائل
للعرب (١) .

إلى أن قال :

وأما قولك أيها الملك : يبدون أولادهم ، فإنما يفعلهم من يفعلهم
منهم بالإثبات أنفة من العار وغيره من الأزواج .

أما قولك : إن أفضل طعامهم الإبل على ما وصفت منها ، فما
تركوا ما دونها إلا احتقاراً له ، فعمدوا إلى أجلتها وأفضلها ، فكانت
مراكبتهم وطعامهم مع أنها أكثر اليهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ،
وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها بضة ، ولينه لاشى .
اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه .

(١) راجع النص كاملاً في العقد الفرید ٢٧٥ / ١ وما بعدها .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم
ويجمعهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا اتست من نفسها
ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف، وإنه إنما يكون في
المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم
فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأوامرهم.

وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا
ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطف^(١) بالعسف....
إلى ما قال

فعبج كسرى لما أجابه النعمان به وقال : إنك لأهل لموضعك
من الرياسة في أهل اقليمك ولما هو أفضل . ثم كساه من كسوته
وسرجه إلى موضعه من الحيرة .

أغراض الخطابة الجاهلية

أغراض الخطابة كثيرة في العصر الجاهلي نذكر منها :-

- ١ - الحث على القتال، أو الدعوة للسلام ونيز الحروب وفض
الخصومات .
- ٢ - الوعظ والدعوة إلى الاعتبار في ملكوت السموات والأرض
والتحذير من مغيب الضلال والجهل - كما في خطبة المأمور الحارثي
السالفة .

(١) يروي : الوطط : وهو : الضرب الشديد بالرجل على الأرض .
أما الوطف فهو طردك الطريدة ثم تكون في أثرها .

- ٣ — التعزية في عظيم من عظمائهم .
 - ٤ — الوفاة على الملوك كخطبة النعمان بن المنذر السالفة .
 - ٥ — الخطبة وقت الزواج كخطبة أبي طالب حين تزوج النبی صلی الله علیه وسلم — السيدة خديجة .
 - ٦ — المباهاة بالقوة والخصال الحميدة ترهيباً للخصوم .
- هذه بعض أغراض الخطابة في العصر الجاهلي .

خصائصها : (١)

- ١ — جُلُّ خطبهم — إن لم تكن كلها — مرتجلة فهم أهل بدیهة . وكان لهم ارتجال يُعجلهم في كثير من الأمور عن تخيير الألفاظ واجتناب الجفاء والخشونة . يعرض لقائلهم المعنى فيرسله فيما يحضر من اللفظ وقد يكون بالغاً إلى حد الغرابة والنقرة من ذوق أهل العصور المتأخرة مثال ذلك قول المأمون الحارثي (طخطن الجهل النظر) و (كالصخر الأيتر) .
 - ٢ — وتمتاز الخطابة بالإيجاز والخلو من اللحن ومن تكلف المحسنات اللفظية كالجناس والتورية — وما إلى ذلك — إلا ما جاء عفواً .
 - ٣ — كانت طريقتهم في الأداء الالتجاء إلى الحقيقة غالباً .
 - ٤ — ويمتاز أسلوبهم بقوة الأسر مع شيء من عجيبة البدابة .
- (١) راجع / الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي / محمد هاشم عطية ص ٨٦ وما بعدها (بتصرف وإيجاز) .

- ٥ — أغلب المعاني فطرية ، مسيطرة لطباع الأشياء ، مشتقة
من هذه المشاهد البدوية ففيها السهولة والبساطة .
- ٦ — وتتميز المعاني أيضا بالصدق ومن هنا جاءت خالصة
من المبالغات ، وذلك راجع لطباع البدو من حب الصراحة وإشعار
الصدق .

٢ - الحكيم والأمثال (*)

الحكيم جمع حكمة وهي : قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما به
وتشتمل بالإيجاز .
والأمثال جمع مثل وهو : قول يشبه بضرره بمورد . فهو يقصد به
تشبيه الحال التي حكى فيها بالحال التي قيل بسببها . وتصدر
الأمثال من وحى القطرة السليمة والخس الصادق والتجربة الصائبة .
وقد اجتبع لعرب الجاهلية ما مكّسهم من الإجادة في الحكم
والأمثال لإجادة باللغة .

فقد نظروا في الحياة نظرات ثاقبة ، بحكم البيئة الصعبة التي تمرسوا
فيها ، فأصابوا منها خبرات واسعة ، وأعانتهم سليقتهم على ذلك ، فهم
أصحاب البيان .

وليس شرطاً " أن يكون أصحاب الحكمة من المستئين الذين
مدّت لهم الحياة في جبال العمر ، ولأمن الذين اصطبغوا بصفوة
تلك الأحداث ، أو شاركوا فيها ، وإنما تكفى النفس الحساسة
والبصيرة النافذة التي تستطيع أن تنفذ إلى أغوار النفس وأسرار
الحياة وأخلاق البشر وإن قصرت بأصحابها الأعمار " .
وقد تجي " الحكمة في الشعر " ومن عرف بالحكمة من الشعراء
الجاهليين : أمية بن أبي الصلت ، زهير بن أبي سلمى ، كرفة بن
العبد وغيرهم .

(*) راجع / أسس النقد الأدبي / أحمد بدوي ، الأدب العربي
وتاريخه / هاشم عطية ، في الأدب الجاهلي على الجندی .

ومن أشهر حكايا العرب : أكرم بن صيفي التميمي ، عامر يسلمن
الظرب العدواني ، وهما من المعمرين .
ومن أقوال أكرم : " . إذا فرغ الفؤاد ذهب الرقاد . ليس
من المعدل سرعة الحذل . لا تطمع في كل ما تسمع . ربّ قول أنفذ من
صول . حافظ على الصديق ولو في الحريق " .
ومن أقوال عامر بن الظرب العدواني :
" ربّ زارع لنفسه حاصد سواء . من طلب شيئا وجده . وابن لسم
يجده . أو شك أن يقع قريبا منه " .

وأما الأمثال فكثيرة عند الجاهليين . ولا بد للمثل من أصل
يكون قد جاء بسببه سواء كان حقيقيا أم فرضيا .
فمن الأمثال الحقيقية : " تجوع الحرّة ولا تأكل بشيبيها " يضرب
لترفع الكريم عن ملايسة الخميسة ، قائله : الحرث بن سليل الأسد .
ومن الأمثال الفرضية : " كيف أعانقك وهذا أثر فأجرك ؟ " .
يضرب لمن لا يؤمن بجانبه ، فقد جرّبت عليه الخيانة ، ونقض العهد ،
ويأتى هذا في خرافة الحية والفأس . وذلك " أن أخوين كانا فيمما
مضى في إبل لهما ، فأجدبت بلادهما ، وكان قريبا منها واد فيه حية
قد حتمت من كل أحد . فقال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو أنسى
أتيت هذا الوادي المكلّى فرعيت فيه إبلتي وأصلحتها . فقال لـه
أخوه : لئن أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحدا لم يهبط ذلك
الوادي إلا أهلكته ، قال : فوالله لأهبط .

فهبط ذلك الوادى ، فرعى إبله زماناً ، ثم إن الحية لدغته
فقتلته .

فقال أخوه : ما فى الحياة بعد أخى خير ، ولأطلبين الحية
فأقتلها ، أو لأتيعن أخى ، فهبط ذلك الوادى ، فطلب الحية
ليقتلها ، فقالت : ألسن ترى أنى قتلت أخاك ، فهل لك فى الصلح ،
فأدعك بهذا الوادى ، فتكون به ، وأعطيك ما بقيت ديناراً كل يوم .

قال : أفاعلة أنت ؟ قالت : نعم . قال : فإنى أفعل
فحلف لها وأعطاه الموائيق : لا يضيئها . وجعلت تعطيه كل
يوم ديناراً ، فكثرت ماله ، وتمت إبله ، حتى كان من أحسن الناس حالاً
ثم إنه ذكر أخاه ، فقال : كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر إلى قاتل
أخى ؟

فعمد إلى فأس ، فأخذها ، ثم قعد لها ، فمرت به ، فتبعها
فضربها فأخطأها ، ودخلت الجحر ، فرمى الفأس بالجبل فوق فوق
جحرها ، فأثر فيه .

فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذى كانت تعطيه ، ولما
رأى ذلك تخوف شرها وندم ، فقال :

هل لك أن نتوافق ونعود إلى ما كنا عليه ؟

فقالت : " كيف أعاهدك وهذا أثر فأسك " (١)

(١) أمثال العرب للمفضل الضبي ص ٨١ .

وهذه الأمثال بمثابة أقاصيص توافرت فيها عناصر الأقصوصة
ما يدل على أن الحرب قد عرفوا القصة ..
وقد عني القدماء بجمع هذه الأمثال وشرحها زمن أشهر الكتب
في هذا المجال : تَجَمُّعُ الأمثال للميداني ، أمثال العرب للمفضل
الضبي ، جمهرة الأمثال للعسكري ، وغيرها ..
ويمتاز المثل بشهرته وإيجازه ، وصدق تمثيله للحياة ، وتصويره
لها تصويراً تاماً ..
ويمكنك التعرف على جوانب من حياة أمة من الأمم من خلال أمثالها .

٣ - الوصايا (١)

جمع وصية ، وهي قول يُلغى مؤثر يتضمن حثاً على سلوك طيب نافع
حباً غيماً توجّه إليه الوصية ، ورغبة في رفعة شأنه ، وجلب الخير له .
وقد تكون صادرة من حكيم لقومه ، أو من سيد لعشيرته ، أو من
أب لابنه ، أو من أم لابنتها . . .
ومن الوصايا المشهورة وصية " ذى الإصبع العدواني " لابنـه
" أسيد " - يقول له :-

" يا بُنَيَّ ، إن أباك قد قَتَلَ وهو حيٌّ ، وعاش حتى سُرِّبَ
المَيتُ ، وإني موصيك بما لئن حفظته بَلَّغْتَ في قومك ما بلغته فاحفظ
عني :

أَلَيْسَ جَانِبُكَ لقومك يَحْبُوكُ ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابْسُطْ لهم
وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك ، وأكرم صغارهم
كما تكرم كبارهم ، يكرهك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمَحْ
بمالك ، وأحم حرملك ، وأعزز جارك ، وأعين من استعان بك ، وأكثرم
ضيقتك ، وأسرع النهضة في الصريح فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصُنْ
وجهك عن مسألة أحدٍ شيئاً ، فبذلك يتم سؤدوك "

نماذج للوصايا الجاهلية

١ - ومن الوصايا المشهورة ما أوصت به أُمَامَةُ بنت الحارث
- زوج عوف بن محم الشيباني - ابنتها حينما رُفَّت إلى زوجها

(١) راجع البيان والتبيين ٧/٢ ، والأدب العربي وتاريخه / محمد هاشم
عطية ٧٨ ، في الأدب الجاهلي على الجندی ٢٦٨ وغيرها .

"الحارث بن عمرو ملك كندة" تقول لها :
[أى بنية • إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ،
ولكنها تذكرة للغافل ومعوذة للعاقل • أى بنية : إنك فارقت الجسد
الذى منه خرجت ، وخلفت العرش الذى فيه درجت ، إلى وكبر لم تعرفه ،
وقرين لم تأليفه • فكونى له أمة يكن لك عبدا •
واحفظى له خلا عشرين لك ذخرا
أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة • وحسن السمع لـ
والطاعة •

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه • فلا تقع عينه
منك على قبيح • ولا يشم منك إلا أطيب ريح •
وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه • فليان
تواتر الجوع ملبهبة • وتنغيس النوم مغشبة •
وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله • والإرعاء على حشمه
وعياله • وملاك الأمر فى المال حسن التقدير • وفى العيال حسن
التدبير •

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تخبين له أمرا • ولا تفسين له سرا
فإنك إن خبيت أمره أو غرت صدره • وإن أفسيت سره لم تأمنى غدره •
ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما • والكآبة بين يديه
إذا كان فرحا]

وهناك وصايا كثيرة ذات قيم أخلاقية • وتتسم بالصدق فى التعبير
وجمال المبارات ورشاقها • ويغلب عليها السجع • • •

٤ - المفاخرات والمنافرات (١)

المفاخرة : محاوراة كلامية بين رجلين أو أكثره فيها يتباهى كل من المتفاخرين بالأحساب والأنساب ويشيد بماله من خصاله ومما قام به من جلائل الأعمال . . . وكانت تحدث بين القبائل أو بين البيطون داخل القبيلة الواحدة . .

والمنافرة : كالمفاخرة - وهي التحاكم إلى السادة والأشراف من حكام العرب - ليفصلوا بين المتناكرين ، ويتغضوا بينهما وينال الغالب المحكوم له جائزة يدفعا المغلوب .
غير أن حكام العرب كانوا - في الغالب - يقومون بالصلح بين المتناكرين ، ويحسمون النزاع بينهما .
مثال ذلك ما كان من هاشم بن عبد مناف في خزاعة وقريش حين نفرتا إليه . فكان من قوله :

" . . . يا بني قصي - يقصد الطائفتين - أنتم كُفُصْنَكُسى شجرة أيهما كُسر أو حشش صاحبه ، والسيف لا يضان إلا بغمد - وراعى العشيرة يصيبه سهمه . . إلخ " .
فأدعن له الفريقان وصالحا .

ومن المنافرات المشهورة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل (٢)

(١) راجع / الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي / محمد هاشم عطية ص ٥٧٩ و ٨٠ في الأدب الجاهلي / علي الجندى ص ٢٦٣
(٢) عامر بن الطفيل شاعر فارس ، من فداك العرب وقد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد أن يخدريه ، ولم يسلم ، مات سنة ١١ هـ .

وعلقمة بن علاثة^(١) العامرين .

وذلك أنه لما أَسَنَّ أَبُو بَرٍّ* عامر بن مالك* تنازع الرئاسة عامر
ابن الطفيل وعلقمة بن علاثة . فقال علقمة : إن شئت نافرقتك فقال
عامر : قد شئت .

فكان مما قاله عامر :

"والله لأنا أَشْرَفُ منك حَسْبًا ، وَأَثْبَتُ منك تَسْبًا ، وَأَطول قَصْبًا "

فقال علقمة :

"والله لأنا خَيْرُ منك لَيْلًا ونهارًا ، وَأنا أَشْرَفُ منك أُمَّةً ، وأطول

قَمَةً ، وَأبعد هَمَةً "

وطال الحوار بينهما ، فتواعدا على الخروج إلى من يحكم بينهما ،
وأبى الناس أن يحكما بينهما ، خيفة أن يقع في حَيَّيْهِمَا الشره حتى
دفعوا إلى هرم بن قطبة الغزاري ، فلما علم بأمرهما أمر بنيه أن يفرقوا
جماعة الناس تفاديا من الفتنة . وجعل يطاولهما ويخوف كل واحد
منهما من صاحبه ، حتى لم يبق لواحد منهما هم سوى أن يسوى غسى
حكمه بينهما ، ثم قال لهما — والناس شهود — : أنشأ كُرْكُيْتِي البعير
تقمان إلى الأرض معا وتقومان معا .

فرضيا بقوله ، وانصرفا عنه إلى حَيَّيْهِمَا .

وقد عُمِّرَ "هرم" إلى أيام عمر بن الخطاب — رضى الله عنه —

فقال عمر :

(١) علقمة بن علاثة : من أشرف قومه في الجاهلية ، أسلم ثم ارتد ، وأعيد
إلى الإسلام سنة ٢٠ هـ تقريبا .

أيهما كنت تقرأ ؟

فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتها الآن لعادت جذعة

(يعني الفتنة أو الحرب)

فقال له عمر : إنك لأهل لموضعك من الرئاسة .

٥ - سجع الكهان (*)

كانت في الجاهلية طائفة من الناس تزعم أنها تعرف الغيب عن طريق الجن ، وكان لهذه الطائفة قداسة خاصة . . .
وكان الناس يلجأون إليهم في كل شئوتهم ، فيحتكمون إليهم في المنازعات والمناقرات ، ويستشيرونهم في أمورهم المستقبلية ، ويعرضون عليهم رؤاهم وأحلامهم . . .
ومن أشهر هؤلاء الكهان : من الرجال : سطيح الذئبي ، والأمور الحارثي ، عزي سلمة . . .
ومن النساء : طريقة الكاهنة ، وقاطمة الخشعية ، والزرقاء بنت زهير ، وزبراء كاهنة بني رثام .

وكان الكهان يعتمدون في حديثهم إلى سجع مصطنع ، فيه غشوش وإيهام ، وهذا مما يلقي الرعب في قلوب السامعين من جهة ، ويضفي على الكاهن قداسة من جهة أخرى .

نماذج من سجع الكهان

١ - يقال (١) : إن زبراء الكاهنة أئذرت قومها غارة عليهم فقالت :

(*) راجع / البيان والتبيين للجاحظ ، الأمازي لآبي علي القالي ، في الأدب الجاهلي / علي الجندى ، الذعر الجاهلي / شوقي ضيف .

(١) الأمازي ١ / ١٢٦ .

"وَاللَّوْحُ ^(١) الْخَافِقُ ، وَاللَّيْلُ الْغَاسِقُ ، وَالْمُصْبِحُ الشَّارِقُ ، وَالنَّجْمُ
الطَّارِقُ ، وَالْمِزْنُ الْوَاقِ ^(٢) . ان شجر الوادي ليأدوا ^(٣) ختلا
ويحرق أنيابا ^(٤) عصلا ^(٥) ، وإن صخر الطود لينذر ثكلا ، لا تجدون عنه
ختلا ^(٦) ."

٢ - ويرى أن "شقا" و"سطيحا" اتفاقا على تعبير رؤيا رآها
"ربيعة بن نصر اللخمي" أحد ملوك العرب، فأخبره سطيح بإغارة
الحيشة على بلاد اليمن بسجع متكلف، يبعث على التردد في تصديقه
إذ قال :
"أحلف بما بين الحرتين من حنش ، ليهيطن أرضكم الحبيش ،
وليلكن ما بين أبيين إلى جرش" وقال شق : "أحلف بين الحرتين
من إنسان ، ليهيطن أرضكم السودان ، وليلكن ما بين أبيين إلى السبي
نجران"

(١) اللوح : الريح .

(٢) الوادي : البطر .

(٣) يأدوا : يختل .

(٤) يحرق أنيابا : يحك بعضها ببعض .

(٥) عصلا : مموجة .

(٦) ختلا : منجى .

ومن أبرز خصائص هذا اللون من النثر :-

- ١ - أنهم كانوا يعتمدون إلى هذا السجع المتكلف والجميل القصيرة .
- ٢ - أنهم قصدوا إلى الإيهام والتعمية والغموض - حتى إنهم - في الغالب - لم يكونوا يفهمون ما يقولون ، وإنما يأتسون بالألفاظ يرضونها رضا ، مستغلين الحالة النفسية للسامعين مثلما يفعل قارئو الفنجان ، وضاربو الودع والرمل في أيامنا هذه .

خصائص النثر الجاهلي

يمكننا بعد هذا العرض لألوان النثر الجاهلي أن نلخص خصائصه في :
أولا : المعاني

- ١ - يقلب عليها الصدق والوضوح والبساطة والصراحة بحيث لا يحتاج نثرهم إلى كد الذهن أو التعمق في الخيال ، ويكاد يقتصر غموض المعاني على سجع الكهان الذين يعتمدون إلى ذلك ويقصدونه قصدا .
- ٢ - المعاني مستمدة من البيئة ، وهي فطرية تتسق وطبائع الأحياء .
- ٣ - تجلت العصبية في النثر الجاهلي ، في الفخر بالأحساب والأنساب في المفاخرات والمنانرات .

٤ - ظهر الحب والمودة والرغبة في الخير لأبناء الأسيرة
أو العشيرة في الوصايا والنصائح .

ثانيا : الألفاظ والأساليب

١ - غابت عليها القوة والجزالة ، فكانوا يعنون بالألفاظ عناينة
خاصة .

٢ - غابت على أساليبهم الإيجاز والتركيز ولا سيما في الحكم
والأمثال .

٣ - ورد في نثرهم بعض الحسنات البديعية غير المنكلفة

٤ - تخلل نثرهم بعض أبيات شعرية أضفت على الكلام جمالا
وروعة ، ولا سيما في مجال الخطابة .

٥ - قصر الجمل وخاصة في مجال الحكم والأمثال وسجع الكهان .

تم بحمد الله

أهم المراجع

الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي	محمد هاشم عطية
أصول النقد الأدبي	أحمد الشايب
الأغاني للأصفهاني	ط دار الكتب
البيان والتبيين للجاحظ	تحقيق هارون
تاريخ آداب العرب	لرافعي
تاريخ آداب اللغة العربية	جورجي زيدان
تاريخ الأدب العربي	كارل بروكلمان
التوجيه الأدبي	طه حسين وآخرون
ديوان خفاف بن ثدي	
ديوان الخنساء	
ديوان العباس بن مرداس	
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأثير	
شعر تأبط شرا	طبع العراق
الشعر والشعراء	لابن قتيبة
طبقات الشعراء لابن سلام	
العصر الجاهلي	د / شوقي ضيف
العقد الفريد لابن عبد ربه	ط بيروت

* هناك مراجع أخرى كثيرة مذكورة في أماكنها من البحث

- | | |
|----------------------|------------------------------------|
| د / علي الجندي | العمدة لابن رشيق |
| د / طه حسين | في تاريخ الأدب الجاهلي |
| د / ناصر الدين الأسد | في الأدب الجاهلي |
| د / بدوي طبانة | بصادر الشعر الجاهلي |
| د / سعد ظلام | معلقات العرب |
| | من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي |
| | الوساطة للقاضي الجرجاني |

فهرس الكتاب

* الباب الأول : (الجاهليون والشعر)

— الفصل الأول (تمهيد)

٣	كلمة أدب
٣	كلمة " جاهلية "
٦	العصور الأدبية
٦	العوامل المؤثرة في الأدب
٨	تاريخ الأدب والتاريخ العام
١٠	الحياة العربية الجاهلية
١١	أيام العرب في الجاهلية
١٩	— الفصل الثاني : الشعر الجاهلي
٢٣ — ٢٧	مكانة الشعر الجاهلي عند الجاهليين
٢٤	رواية الشعر العربي وتدوينه
٢٦	أهم مصادر الشعر الجاهلي
٤١	١ — المعلقة
٤١	عدد ها ه تسميتها
٤٢ — ٤٣	عرض موجز للمعلقة
٤٤	معلقة امرئ القيس
٤٦	معلقة طرفة
٥٢	معلقة عنترة

٥٢	معلقة زهير
٥٥	معلقة عمرو بن كلثوم
٥٨	معلقة الحارث بن حلزة
٦١	ليبيد بن ربيعة العامري
٦٣	٢ - المفضليات
٦٤	٣ - الأصمعيات
٦٥	٤ - جمهرة أشعار العرب
٦٥	٥ - مختارات ابن الشجري
٦٦	٦ - دواوين الحماسة
٦٦	٧ - دواوين القبائل
٦٧	٨ - دواوين الأفراد
٦٩ - ٩٢	الفصل الثالث : نظرية الانتقال في الشعر الجاهلي
٧٠	ابن سلام الجمحي وقضية الانتقال
٧٤	نظرية الانتقال عند المحدثين
٧٧	طه حسين وقضية الانتقال
٧٩	دوافع شك طه حسين في الشعر الجاهلي
٨٣	أسباب الدحل في رأيه
٨٥	الرد على طه حسين

الفصل الرابع : موضوعات الشعر الجاهلي وخصائصه

٩٤ - ١٢٥	١ - الوصف
٩٤	٢ - الحماسة
٩٧	٣ - الفخر
٩٨	٤ - المدح
١٠٠	٥ - الهجاء
١٠١	٦ - الرثاء
١٠٤	٧ - الغزل
١٠٨	٨ - الاعتذار
١١٢	٩ - الحكمة
١١٥	خصائص الشعر الجاهلي

الفصل الخامس : التراجيم

١٢٧ - ١٦٥	١ - شاعر من مدرسة المعلقات (عنيزة)
١٢٧	٢ - من مدرسة الصعاليك (تأبط شرا)
١٢٩	٣ - من الشواعر (الخنساء)
١٥٤	* الباب الثاني : النشر في العصر الجاهلي
١٦٧	١ - الخطابة
١٦٨	٢ - الحكم والأمثال
١٧٩	٣ - الوصايا
١٨٣	

١٨٥	٤ - المفاخرات والمنافرات	
١٨٨	٥ - سجع الكهان	
١٩٠	خصائص النثر الجاهلي	١٨٥
١٩٢	* أهم مراجع الكتاب	١٨٥
١٩٤	* فهرس الكتاب	

